من الكتاب والسنة

قصص النساء

إبراهيم محمد الجمل



دبولى الصغير

قصص النساء

الناشــر : **مكتبة مدبـولى الصغير**
٤٥ شـارع البطـل أحمـد عبد العزيـز
تليفون : ٣٤٧٧٤١٠ ـ ٣٤٤٢٢٥٠
ميدان سفنكس ت : ٣٤٦٣٥٣٥
رقـم الإيـداع : ٢٢١٤ / ٩٥
الترقيم الدولى : 1 - 93 - 5193 - 977

الطبعة الأولى : ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦ م

المدير الفنى : **محمد الصباغ**

لوحة الغلاف : رسم يدوى لقاعة الحريم
في العصر العثمانى

خطوط الغلاف : لمعى فهيم

قصص النساء

من الكتاب والسنه

إبراهيم محمد الجمل

الناشر : مدبولى الصغير

تقديـــــم:

إن الحمد لله عز وجل..

ونصلي ونسلم على أفضل مخلوق وخير الوجود.. صلى الله عليه وآله وصحبه وأشهد أن لا إله إلا الله.. الملك الحق المبين..

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه.

«ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون».

«ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها وبث منها رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبـاً».

«ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً».

أما بعـــد...

فإن ناساً من خلق اللــه يدركون حقيقـة الدنيـا ومـآلهـا.. فيبيعون أنفسـهم للــه عـز وجـل

والله رب العالمين يشترى منهم أنفسهم وأموالهم..

وهؤلاء.. استطاعوا بصبر على الطاعة، وصبر على الإيمان، وصبر طويل ألزموه نفوسـهم وقلوبهم وأبدانهم.. استطاعوا أن يصفوا النفوس والقلوب والأبدان من أوراق الدنيا وأوساخ المعاصي..

فسعدوا فى حياتهم وبعد حياتهم..

وظن ـ من ظن ـ أن الرجال هم أقدر الناس على ذلك..

والحق.. أن من النسـاء من تفوقت على ملايين الرجال، والدليل ما أمامنا فى هذا

السفر القليل ـ من نماذج ـ لأربعة نساء هن خير نساء العالمين على الاطلاق ـ كما أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. وهو من الفصل الثانى حتى الرابع من هذا الكتاب

وسوف نحاول أن نعرض لجزء ضئيل من حياتهن واخلاصهن وشيء من فضائلهن وأخلاقهن وكذلك لقصص النساء عامة فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم..

علهن يكن عبرة للمسلمات وعظة للغافلات، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

إبراهيم محمد الجمل

الفصل الأول

مسألة الدرجات والرفعة

الدرجة والرفعة

الناس عموماً درجات..

منهم الرذيل الذى لا يرتقى وإن أتيحت له أسباب الرقى والفلاح والنجاح..

ومنهم المتوسط الذى يحاول الجهد لكنه صاحب امكانات محدودة وجهد مقل،

ومنهم صاحب الهمة العالية الذى إن أتيح له سبب واحد من أسباب الرقى اقتحمه وعمل على انجاحه والنيل منه وركبه ليرقى ويرقى..

والنساء لهن طبائع تختلف والناس..

وطبائعهم تغلب عليهن..

وتدعوهن إلى النزول لا الرقى..

فعلينا أن نعلم:

مكانة النساء، وطبائعهن، ووضعهن، وسبل رفعتهن..

أولاً: مكانة النساء:

- فى الحديث عن أبى هريرة:

«خير النساء التى تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر ولا تخالفه فى نفسها ولا مالها بما يكره»[1]

- وفى حديث أنس:

«خير نسائكم العفيفة الغلمة، عفيفة فى فرجها، غلمة على زوجها»[2]

- وفى حديث ابن عباس:

«أربع من أعطهن فقد أعطى خيرى الدنيا والآخرة، لسان ذاكر وقلب شاكر وبدن على البلاء صابر، وزوجة صالحة لا تبغيه خوفاً فى نفسها ولا ماله صالحة تعين أحدكم على دينه»[3]

- وعن عبدالله بن الحكم عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«أربع خصال من سعادة المرء، أن تكون زوجته صالحة وأولاده أبراراً، وخلطاؤه صالحين ومعيشته فى بلده»[4]

- وعن أبى أمامة الباهلى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته وإن أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها نصحته فى نفسها وماله»[5]

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«اذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها قيل لها ادخلى من أى أبواب الجنة شئت»

قال الأحمص: حدثنى إبن أبى الزناد عن عروة بن الزبير قال:

---

(١) رواه الإمام أحمد والنسائى والحاكم.
(٢) رواه الديلمى.
(٣) رواه الطبرانى والبيهقى.
(٤) رواه ابن عساكر والديلمى.
(٥) رواه ابن حاجة.

«ما رفع أحد بعد الايمان بالله تعالى بمثل منكح صدق، ولا وضع نفسه بعد الكفر بالله بمثل منكح سوء».

- وقال الإمام أبو حنيفة رضى الله عنه:

«المرأة الصالحة تشبه الوالدة والأخت والصديق، والمرأة السوء تشبه الراية - زوجة أبي الولد - والعدو والسارق».

- وقال الحريرى فى إحدى مقاماته:

«القرينة الصالحة تربى بيتك، وتلبى صوتك، وتغض طرفك، وتطيب عرقك، وبها ترى قرة عينك، وريحانة أنفك، وفرحة قلبك، وخلد ذكرك».

- وقال الحجاج بن يوسف الثقفى لأيوب بن القرية البليغ:

ما تقول فى التزويج؟ فقال: وجدت أسعد الناس فى الدنيا، وأقرهم عيناً وأطيبهم عيشاً، وأبقاهم سروراً، وأرضاهم بالاً، وأثبتهم شباباً، من رزقه الله زوجة مسلمة عفيفة حسنة لطيفة نظيفة، مطيعة، إن ائتمنها زوجها وجدها أمينة، وإن قتّر عليها وجدها قانعة، وإن غاب عنها كانت له حافظة، وقد ستر حلمها جهلها، وزين دينها عقلها، فزوجها ناعم وجارها سالم، ومملوكها آمن وصبيها طاهر، فتلك كالريحانة، والنخلة لمن يجتنبها، وكاللؤلؤة التى لم تثقب، والمسكة التى لم تفتق، قوامة صوامة، ضاحكة بسامة، إن أيسرت شكرت وإن أعسرت صبرت، فأفلح وأنجح من رزقه الله مثل هذه، وإنما مثل المرأة السوء، كالحمل الثقيل على الشيخ الضعيف يجره فى الأرض جراً، فبعلها مشغول، وجارها مثبول، وصبيها مرذول، وقسطها مهزول».

قال الشاعر:

سعادة المرء فى خمس لقد جمعت	صلاح جيرانه والبر فى ولده
وزوجة حسنت أخلاقها وكذا	خل وفىّ ورزق المرء فى بلده

* * *

فضل حمل المرأة وولادتها:

أراد الله للدنيا أن تتكاثر وتزداد، وأراد للبشرية الخير الوفير والاستقرار التام، وهذا لا يتأتى إلا اذا حملت المرأة ووضعت واعتنت بذلك كل اعتناء، لذا فقد أعد لها الاسلام الأجر الوفير والثواب الكثير.

قال الله عز وجل:

«ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله فى عامين أن أشكر لى ولوالديك إلىّ المصير»[1]

- وتقديم الأم على الأب بالبر والشكر مفهوم من الأحاديث.

- فعن أبى هريرة رضى الله عنه:

«من أحق الناس بحسن صحابتى يارسول الله: قال: أمك، قال: ثم من، قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من: قال أبوك ثم الأقرب فالأقرب»[2]

- وعن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«المرأة فى حملها إلى وضعها إلى فصالها كالمرابط فى سبيل الله، فإن ماتت فيما بين ذلك فلها أجر شهيد»[3]

* * *

حسن المرأة وجمالها:

فى الخبر «النظر إلى المرأة الحسناء والخضرة يزيدان فى البصر».

- وفى آخر:

«ثلاثة فاتنات الشعر الحسن والوجه الحسن والصوت الحسن».

* * *

---

(١) ١٤ : لقمان.

(٢) رواه الإمام أحمد وأبوداود والترمذى والحاكم عن معاوية بن حيده وابن حاجه عن أبى هريرة.

(٣) رواه الطبرانى.

ولكن كل ما تقدم لا يمنع أن يكون هناك نساء نزلن ولم يرتقين إلى مرتبة العظماء القانتات، وهؤلاء يعاملن معاملة غير ما تقدم وقيل فيهن غير ما قيل.

* * *

ذم النســـاء:

كل شيء بحد ذاته قابل أن يمدح ويذم، ويقبل ويرد، باعتبار ما تركب منه من العناصر، فالنساء يمدحن ماكن متمسكات بالشرع الاسلامى من اتباع أمر واجتناب نهى، كما إنهن يذممن إذا خالفن أمر الله تعالى ايجاباً وسلباً وبالرغم مما فيهن من طبائع وأخلاق وعادات كادت تكون جبلة فيهن، وإنما التعلم الدينى يزيل تلك المنكرات كلها أو يخفف وطأتها وما من داء إلا وله دواء.

وقد وصف الله تعالى النساء فى القرآن الكريم بأوصاف كثيرة مذمومة، منها كونهن شهوة، ونقص عقولهن، وعجزهن عن القيام بأمورهن، واحتياجهن لولى يقوم عليهن، ولمن يحصنهن، ونسبة حصول كثير من المنكرات لهن، واذاعتهن الأسرار والخيانة لأزواجهن، والكيد وقوة الشهوة والوقاحة والافتراء وغير ذلك مما هو مذكور فى القرآن الكريم وليس بالقليل.

وتجد فى سورة يوسف عليه السلام فيها كثير من تلك الأوصاف المذمومة فيما حصل بينه وبين امرأة العزيز وهى واحدة من النساء.

ومـــا أتـــى من مـــثلـــه واحـــد . . فـجـائـــز اتيـــان أمـثـالـــه

ولا يقال إن ذلك خاص بامرأة فى واقعة حال مفردة، كلا فإن القاعدة الأصولية أن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب كالقوانين التى تضعها الحكومات فانها قد تكون بسبب واقعة حصلت، وإنما يطبق عليها كل ما كان من شكلها فلا يقال إن هذه المادة أو هذا القانون كان بسبب الحادثة الفلانية فلا يطبق على غيرها وهذا لا يختلف فيه اثنان.[1]

---

(١) مرآة النساء (٣٧).

قــال اللــه عــز وجــل:

«زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين»[1]

وقد قدم المولى عز وجل النساء على أمور أخرى دليل على أهميتها.

- قالت السيدة عائشة رضى الله عنها:

«من شقوتنا أن الله تعالى قدمنا حين ذكر الشهوات».

والشهوة حركة النفس لطلب ما يلائمها، والنفس أمارة بالسوء فلا تطلب إلا مافيه هواها ورداها، فالشهوة إذن هى اتباع هوى النفس من غير تقيد بشرع أو عرف.

وتطلق فى الغالب على الأمور البهيمية من الملاهى والاستمتاع وغير ذلك، وعلى قدر قوتها فى النفوس تكون الخسة والضعة بنظر أهل العقول السليمة، ولا يرد عليه أن ما ذكره الله تعالى فى الآية بعد ذكر النساء من البنين وكثرة المال والخيل والأنعام والحرث شهوة أيضاً، لأنه ذكره فى آيات أخرى فى معرض المدح والامتنان به على خلقه ولا يمن بما هو مذموم قال الله تعالى:

(المال والبنون زينة الحياة الدنيا)[2]

ولا تكون الزينة مذمومة إلا إذا اشتملت على منكر.

وقال حكاية عن سيدنا نوح عليه السلام:

«فقلت أستغفروا ربكم انه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً»[3]

ولا تكون نتيجة لاستغفار الأنعام بالشىء المذموم، فالأموال والبنون تمدح وتذم بحسب ما يترتب عليها، أما الشهوة فإنها مذمومة لذاتها لأنها لا تكون موافقة للشرع، ولا هى محل للثواب عليها.

---

(١) ١٤ : آل عمران. (٢) ٤٦ : الكهــف

(٣) ١٠ - ١٢ نــوح.

وأما نقص عقولهن وضعف ضبطهن فدليله قوله تعالى:

«واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء إن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى».[1]

وقد ذكر الفقهاء: أنه لو شهدت ألف امرأة ليس معهن رجل لم تصح شهادتهن، نعم إنه تقبل شهادة اثنتين فما فوق فيما لا يعلم إلا من جهتهن كشهادة امرأتين أو أكثر على أن فلانه حبلى، أو غير حبلى، فإنها تقبل شهادتهما من دون أن يكون معهما رجل للضرورة وهى عدم جواز اطلاع الرجل على عورة المرأة ليعلم أنها حبلى أو غير حبلى مثلاً، والضرورة تقدر بقدرها كما هى القاعدة الأصولية.

* * *

وكذا: فان النساء تعجز عن القيام بأمورهن وذلك أيضاً من كتاب الله عز وجل:

قال الله تعالى:

«الرجال قوامون على النساء»[2]

وإنما يقام القيم على العاجز والقاصر والضعيف والسفيه والمبذر لما فى كل أولئك من معنى العجز عن حفظ كيانه وصيانة ماله وحماية نفسه، والمرأة من هذا القبيل، فلذلك كان قيام الرجل عليها لازماً، ولا تصح تصرفاتها إلا بموافقة وليها، وولى المرأة أبوها أو ابنها أو أخوها، أو زوجها والأقرب لولايتها زوجها، فإن لم يكن لها زوج فابنها، فإن لم يكن لها ابن فأبوها.

وإن لم يكن لها أب فأخوها، فإن لم يكن لها أخ فعمها، فإن لم يكن لها عم فالأقرب اليها نسباً.

* * *

وأما كونهن إحصانهن من غيرهن لا من أنفسهن فدليله قوله تعالى:

---

(١) ٢٨٢ : البقرة.   (٢) ٣٤ : النساء.

«والمحصنات من النساء»[1]

ذكرهن الله بصيغة اسم المفعول اشارة الى أن إحصانهن من غيرهن وهو الولى عليهن، ولذلك لا يصح أن تزوج امرأة نفسها من غيرها بلا ولاية ولى عليها لعدم تمييزها بين معرفة ما ينفعها وما يضرها فى عاجل أمرها وآجله، إذ ليس عندها من النظر والتفكير ما يسوغ لها زواجها نفسها، وكم من امرأة استبدت بأفعال نفسها فكانت عاقبة أمرها خسراً.

وبمقابلة ذكر الله تعالى المحصنات بصيغة اسم المفعول ذكر الرجال بصيغة اسم الفاعل فقال تعالى:

«محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان»[2]

اشارة الى أن احصان الرجال من أنفسهم لا بسبب غيرهم.

وأما نسبة حصول المنكرات لهن فدليله قوله تعالى:

«فإن أتين بفاحشة»[3]

وقوله تعالى:

«الزانية والزانى فأجلدوا كل واحدة منهما مائة جلدة»[4]

حيث نسب إتيان الفاحشة إليهن وقدم الزانية على الزانى إشارة إلى أنه لا يزنى رجل بامرأة إلا بموافقتها ورضاها فى الغالب مهما ظهر منها إباء وامتناع.

* * *

اذاعتها للأسرار:

وأما اذاعتهن للأسرار وعدم كتمانهن لها فلدليله قوله تعالى:

---

(١) ٢٤ : النساء (٢) ٥ : المائدة.
(٣) ٢٥ : النساء. (٤) ٢ : النور.

«وإذ أسر النبى الى بعض أزواجه حديثاً فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض»[1]

- إن المرأة تقدر على كتم سر عمرها فانها تبلغ الخمسين أو ما فوقها ويظهر عليها آثار الكبر والانحطاط وإذا سُئلت عن عمرها قالت: إنها دون الثلاثين، أو أن فلانة التى هى فى عداد أولادها أكبر منها.

كأن مر السنين لا يؤثر على سنى عمرها تأثيراً تزيد فيه.

* * *

الخيانـــة للأزواج:

قال الله عز وجل:

«ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة لوط وامرأة نوح كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما»[2]

والخيانة أنواع، تكون فى العهد والمال والعرض، وأشدها ضرراً خيانة الزوج فى عرضه بأن يكون لها صاحب تستسلم إليه فيتمتع بها، وربما حملت منه فكان الحمل لزوجها إذ لا يعلم بحقيقة الأمر، فتحمل به وتلده على اعتبار أنه ابنه يشارك أهل أبيه فى النسب والمال، ولا ضرر أعظم من خيانة الزوجة لزوجها فى عرضه.

- وفى الحديث الشريف:

«إن التى تورث المال غير أهله عليها نصف عذاب هذه الأمة».[3]

- وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(١) ٣ : التحريـــم.

(٢) ١٠ : التحريـــم.

(٣) رواه عبدالرزاق عن ثوبان.

«اشتد غضب الله على امرأة أدخلت على قوم ولداً ليس منهم يطلع على عوراتهم ويشركهم فى أموالهم»[1]

- *عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«إيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله فى شىء ولن يدخلها الله جنته، وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله عنه وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين يوم القيامه»[2]

* * *

كيد النساء:

وأما الكيد وهو المكر والخبث والحيلة والزيادة فى اظهار التظلم تهويلاً للأمر بالكذب فهو من صفات النساء اللازمة لهن.

قال الله تعالى:

«إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم»[3]

وهو كيد الشيطان أمام كيد النساء فقال:

«إن كيد الشيطان كان ضعيفاً»[4]

فالنساء بكيدهن أشد من الشيطان بكيده على الرجال.

وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من كيد النساء فقال:

«اللهم إنى أعوذ بك من امرأة تشيبنى قبل المشيب».

* * *

---

(١) رواه البزاز عن عبدالله بن عمر بن الخطاب.

(٢) رواه أبوداود والنسائى وابن ماجه وابن حبان والحاكم.

(٣) ٢٨ : يوسف. (٤) ٧٦ : النساء.

وأما المكر فهو ظاهر من قوله تعالى:

«وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً إنا لنراها فى ضلال مبين»[1]

حيث لم يكن هذا القول منهن غيرة عليها ولا لتألم من سوء حالها ولكن لتسمع به امرأة العزيز فتستدعيهن فينظرن يوسف حيث بلغهن من جماله ما شغل بالهن.

وأخيـراً:

ففى الحديث عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، وأطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء والأغنياء»[2]

- وفى الحديث المشهور:

«الدنيا حلوة خضرة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا والنساء فان أول فتنة بنى اسرائيل كانت من النساء»

وفى حديث البخارى ومسلم وغيرهما عن أسامه بن زيد:

«ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء».

* * *

وبعـد ..

فان النساء وان كان لهن أوصاف تتجه بالإنظار إلى النزول وعدم الرقى..

إلا أن صنفاً منهن وجماعة منهن اشترين الله ورسوله وبعن الدنيا وما فيها..

(١) ٣٠ : يوسـف.

(٢) رواه عبدالله بن أحمد بن حنبل.

ذلك أن حلاوة الايمان تدفع وتدفع فيرقى العبد إلى عليين وما فعل الايمان بقليل فى القلوب، فقد حول امرأة فرعون، ومريم البترول وغيرها وغيرها إلى سيدات فاضلات ونساء طاهرات بل وأفضل نساء العالمين.

* * *

الفصل الثانى

مريم ابنت عمران

مريـــم ابنـت عمـــران

هذه.. القانتة العابدة..

مريــم.. البتــول..

أم نبى الله ورسوله.. عيسى عليه السلام..

تطاول كثير من الناس فأنزلوها منزلة ظناً منهم أنهم يرتقوا بها، ويبالغوا فى اكرامها.. وهى منهم براء..

فهى العابدة التى كانت تأكل فاكهة الصيف فى الشتاء، وفاكهة الشتاء فى الصيف.. فيتعجب كافلها ويطرح سؤاله «أنّى لك هذا» فتقول العابدة القانتة «هو من عند الله».

لانها أخلصت لله عز وجل وأعطته كل ماهو غالٍ ورخيص، وأثرته على كل أشلاء الدنيا وأحلاسها، وصاعها ولذاتها.. فاستحقت أن تكون من خير النساء.

خير نساء العالمين..

وأفضل نساء العالمين..

إنها مريــم.. البتــول..

- عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا فاطمة يوم الفتح «فناجاها» فبكت.

ثم حدثها، فضحكت.

«قالت: فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم سألها عن بكائها وضحكها.

قالت: أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يموت فبكيت.

ثم أخبرنى أنى سيدة نساء أهل الجنة.

إلا مريم ابنت عمران. فضحكت»[1]

- وعن على قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد»[2]

وأخرج مسلم فى صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«كل بنى آدم يمسه الشيطان، يوم ولدته أمه إلا مريم وابنها»

- وأخرج مسلم أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون.. وإن فضل عائشة على النساء كفضل الزبد على سائر الطعام».

* * *

قال الله تعالى:

«إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين»[3]

- عن ابن عباس: أن اليهود قالوا: نحن أبناء ابراهيم واسحاق ويعقوب ونحن على

---

(١) رواه الترمذى عن أم سلمة.

(٢) رواه مسلم فى صحيحه عن على كرم الله وجهه.

(٣) ٣٣ : آل عمــران.

دينهـم فنـزلت.

والاصطفاء: أي الاختيار.

أي اصطفى كل واحد منهم على عالمي زمانه.

وقوله «ذرية»: أي نسلاً.

وقوله «بعضها من بعض» في النية والعمل والاخلاص والتوحيد.

«والله سميع» لأقوال العباد.

«عليم» بأفعالهم وما تكنه صدورهم.

ولذلك فهو يصطفي من يشاء منهم.

ولقد اصطفى من آل عمران إنثى طيبة، وقد كان الناس يظنون أن الاصطفاء إنما يكون من الرجال، لكن هذه المرة كان الإصطفاء من الإناث.

فان قال قائل:

فـمن أين علمت أن الاصطفـاء من ال عمـران كـان من أنثى وهي مـريم عليـها السلام.

قيل: قال الله عز وجل:

«يامريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين»[1]

أي اصطفاها كما يصطفى الرجال، ثم انه قال آل عمران لأن الأمر سوف يتوزع على مريم ثم على ابنها المسيح عليه السلام.

* * *

قال الله تعالى:

---

(١) ٤٢ : آل عمـران.

«إذ قالت امرأة عمران، رب إنى نذرت لك مافى بطنى محرراً فتقبل منى، إنك أنت السميع العليم»[1]

قوله «مافى بطنى محرراً» أى خالصاً لخدمة مولاه وبيته المقدس، ومحرراًمن الرق.

ومحرراً من عبودية أى شىء.. غير الله تعالى.

ثم قال المولى عز وجل:

«فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً»[2]

وكان مافى بطنها مريم. وكان من مريم عيسى الرسول عليه السلام.

* * *

«فلما وضعتها قالت رب إنى وضعتها أنثى، والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإنى سميتها مريم، وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم»[3]

لقد تحسرت ظناً منها أن الولد يتحرر ويتعبد ويخدم مولاه أكثر من الأنثى.

«والله أعلم بما وضعت» وقرأ ابن عباس «بما وضعت» على خطاب الله تعالى لها.

أى: إنك لا تعلمين قدر ما وضعته، وما أودع الله فيه!

«وإنى سميتها مريم» وفى لغتهم: أى العابدة.

«وإنى أعيذها بك» أى أضعها وأجيرها بحفظك، وأصل العوذ: الإلتجاء إلى الغير والتعلق به.

وليست هى فحسب بل «وذريتها» أى تريد امتداد هذا الحفظ الذى بيعته ويريده وتطلبه لنسل ابنتها.

«من الشيطان الرجيم» المطرود من رحمته تعالى المبعدمن جنته.

---

(١) ٣٥ : آل عمـــران (٢) ٣٦ : آل عمـــران

(٣) ٣٦ : آل عمـــران.

- وفى إحدى روايات البخارى، قال أبوهريرة - رضى الله عنه - «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

«مامن بنى آدم مولود، إلا يمسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخاً، من مس الشيطان، غير مريم وابنها»

ثم يقول أبوهريرة، وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم».

* * *

وكفلهـــا زكريـــا:

يقول ابن الأثير:

كان عمران ابن ماثان، من ولد سليمان بن داود.

وكان آل ماثان رؤوس بنى اسرائيل وأحبارهم.

وكان متزوجاً بحنة بنت فاقوذ.

وكان زكريا بن برخيا متزوجاً بأختها ايشاع.

وكانت حنة قد كبرت وعجزت فلم تلد ولداً.

فبينما هى فى ظل شجرة أبصرت طائراً يزق فرخاً له. فاشتهت الولد.. فدعت الله أن يهب لها ولداً، ونذرت أن يرزقها ولداً، أن تجعله من سدنة بيت المقدس وخدمته، فحررت مافى بطنها ولم تعلم ماهى.

وكان النذر المحرر عندهم، أن يجعل للكنيسة، يقوم بخدمتها، ولا يبرح منها، حتى يبلغ الحلم.

فاذا بلغ خير فإن أحب أن يقيم فيهم أقام، وإن أحب أن يذهب ذهب حيث شاء، ثم هلك عمران، وحنة حامل بمريم.

فلما وضعها إذ هى أنثى، فقالت عند ذلك: «رب إنى وضعتها أنثى، والله أعلم بما

وضعت وليس الذكر كالأنثى» فى خدمة الكنيسة، والعبّاد الذين فيها.

ثم لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد، ووضعتها عند الأحبار أبناء هارون، وهم يكون من بيت المقدس، ما يلى بنو شيبة من الكعبة.

فقالت: دونكم هذه المنذورة.

فتنافسوا فيها، لأنها بنت إمامهم، وصاحب قربانهم.

فقال زكريا: أنا أحق بها لأن خالتها عندى،

فقالوا: لكنا نقترع عليها، فألقوا أقلامهم فى نهر جار ـ قيل ـ هو نهر الأردن. فألقوا فيه أقلامهم التى كان يكتبون بها التوراة، فارتفع قلم زكريا فوق الماء، ورسبت أقلامهم، فأخذها..

وكفلها، وضمها إلى خالتها أم يحيى. واسترضع لها غرفة فى المسجد، لا يرقى اليها إلا بسلم، ولا يصعد اليها غيره.

* * *

كلما دخل عليها زكريا المحراب:

قال الله تعالى: «كلما دخل عليها زكريا المحراب، وجد عندها رزقاً، قال: يامريم أنّى لك هذا، قالت: هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب»[(١)]

ـ أخرج ابن جرير عن الربيع قال: انه كان لا يدخل عليها غيره، وإذا خرج أغلق عليها سبعة أبواب!

«فكان يجد عندها فاكهة الصيف فى الشتاء، وفاكهة الشتاء فى الصيف».

* * *

---

(١) ٣٧ : آل عمــران.

البشـــرى الكبـــرى:

(إذ قالت الملائكة يامريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهـاً فى الدنيا والآخرة ومن المقربين، ويكلم الناس فى المهد وكهلاً ومن الصالحين)[1]

- فتعجبت مريم وازداد عجبها ودهشتها وتساءلت:

«قالت: رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر، قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون»[2]

ولعلك تتأمل مريم البتول حين وصفها:

«فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا».

«وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً».

«فكلى واشربى وقرى عينا فإما ترين من البشر أحداً فقولى إنى نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسيا».

قال ابن مسعود: بئس ما فعلت: إنما كانت تلك المرأة قالت ذلك ليكون عذراً لها إذا سئلت، وكانوا ينكرون أن يكون ولد من غير زوج إلا زنا».

ثم وقفت مريم وحدها أمام الملأ.. تتحداهم بطفلها..

قالوا: «ياأخت هارون ما كان أبوك أمرأ سوء وما كانت أمك بغيا»

ما عرفناك بالتى ترجع وهى تحمل طفلاً وما علمنا سوء خلق عن أبيك ولم نجرب الفاحشة على أمك.

«فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً».

لكنه - ليس ككل أطفال العالم الذين لا يتكلمون فى المهد، بل إنه صاحب

(١) ٤٥، ٤٦ : آل عمران.　　(٢) ٤٧ : آل عمران.

هـذه الخاصيـة.

«قال إنى عبد الله، أتانى الكتاب، وجعلنى نبياً، وجعلنى مباركاً أين ما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حياً، وبراً بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقياً والسلام علىّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً»[1]

فهذا.. هو مقام الأنبياء.. الأصفياء.. أحباء الله وأوليائه.

لذا قال المولى عز وجل: «ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون».

هذا هو عيسى عليه السلام النبى الرسول العبد لله الذى لم يعبد فيه حياته غير المولى عز وجل الصديق ابن الصديقه عليها السلام.

ابن العابدة التقية: مريم البتول الذى فضلها المولى عز وجل على نساء العالمين فكانت من أفضلهم وأخيرهم..

فتباً للذين عبدوها وابنها إلهين من دون الله، وتباً على الذين فرطوا فى كنهها وألبسوها لباساً لا ترضاه لنفسها ولا يرضاه ابنها الرسول ـ عليه السلام ـ لنفسه.

وبذلك ترتقى هذه العابدة وترتقى لتكون خير النساء فى العالمين.

* * *

---

(١) ٣٠ : ٣١ مريـــم.

الفصل الثالث

خديجة بنت خويلد

رضى الله عنها

خديجة بنت خويلد

هـذه: أم المؤمنين..

من ازدادت أموالها وعظمت تجارتها وازدانت بين قومها.. فتقدم إليها الوجهاء والعظماء والأشراف لخطبتها.. فما رضت بشرفهم ولا بعظمتهم ولا بجاههم.

وبعثت لهذا اليتيم الكريم صاحب الخلق العظيم، واليد النظيفة والأمانة الكبرى.

كانت تدرك أن الانسان إنما يقيم بكنهه وصفاته وأخلاقياته لا بأمواله وجاهه وسلطانه..

وتزوجت خير البشر.. وآزرت الدعوة حينما بزغ نورها..

وكم لها فى الإسلام من أيد طيبة، وروح عالية، ونصرة لدين الله عز وجل..

وكم ساندت زوجها وآزرته ونصرته..

فكانت بصفاتها وأخلاقها وأعمالها وجهادها سيدة نساء العالمين وأفضلهم..

- عن أنس رضى الله عنه: أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

«حسبك من نساء العالمين».

«مريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية

امــرأة فرعــون»[1]

- وعن على قال: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«خير نسائها مريم، وخير نسائها خديجة»[2]

- وعن على أيضاً: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

«خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد»[3]

* * *

عائشة زوجة النبى صلى الله عليه وسلم:

وعائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم نؤكد أنها لم تغر على إحدى نسائه كما$غارت على خديجة..

لأن الله قد بشر خديجة ببيتلفى الجنة من قصب، لا نصب فيه ولا وصب..

ذلك: انها .أى عائشة.. كانت تتمنى أن تكون الزوجة المثلى لنبى الاسلام ورسول المحبة».

لما لا.. وه] ابنة أحب الناس إليه، وكانت هى تدرك ذلك وتت|خى أن تصل بها هذه الأخوة والمحبة التى بين أ[يها وبين زوجها الى درجة عندها تكون هى الأومى.. لكن لا ينسى فضل خديجة بنت خويلد.. ولا ينسى تاريخها..

* * *

وتجد عائشة نفسها تقول:

- عن عائشة رضى الله عنها قالت:

«ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة، من كثرة ذكر رسول الله صلى الله عليه

---

(١) أخرجه الترمذى. (٢) أخرجه البخارى.

(٣) الحديث سبق تخريجه.

وسلم إياها، قالت: وتزوجنى بعدها[1] بثلاث سنين، وأمره ربه عز وجل أو جبريل.. عليه السلام.. أن يبشرها ببيت فى الجنة من قصب»[2]

* وفى رواية أخرى:

- عن عائشة رضى الله عنها، قالت:

«ماغرت على أحد من نساء النبى.. صلى الله عليه وسلم.. ما غرت على خديجة.. وما رأيتها.. ولكن كان النبى صلى الله عليه وسلم.. يكثر ذكرها.. وربما ذبح الشاة.. ثم يقطعها أعضاء.. ثم يبعثها فى صدائق خديجة..

فربما قلت له: كأنه لم يكن فى الدنيا امرأة إلاّ خديجة..، فيقول: «إنها كانت وكانت.. وكان لى منها ولد»[3]

* * *

البشـــرى:

والبشرى.. إنما تكون على قدر صاحبها..

والمبشر: هو النبى صلى الله عليه وسلم: وهو «لا ينطق عن الهوى».

- عن إسماعيل قال:

قلت لعبدالله بن أبى أوفى.. رضى الله عنهما: بشر النبى صلى الله عليه وسلم.. خديجة؟

«قال: نعم.. ببيت من قصب.. لا صخب فيه ولا نصب»[4]

* * *

وقال جمهور العلماء: «المراد به قصب اللؤلؤ المجوف كالقصر المنيف، وقيل: قصب

---

(١) أى بعد وفاتها، فلم يتزوج النبى صلى الله عليه وسلم عليها فى حياتها.

(٢) أخرجه البخارى. (٣) أخرجه البخارى. (٤) أخرجه البخارى.

من ذهب منظوم بالجوهر.

قال أهل اللغة: القصب من الجوهر ما استطال منه فى تجويف.. ويقال لكل مجوف قصب، والمراد بالبيت هنا القصر!».

وإنما كان القصر ليدها فى الاسلام، ومساندتها دين محمد فى وقت عصيب احتاج فيه الخاتم المساندة والنصر والمآزرة.

* * *

السلام من الله:

ولم لا؟ وهى خديجة زوج النبى صلى الله عليه وسلم.

والسلام من الله: يعنى الكثير يعنى التفضيل والرفعة والتكريم.

- عن أبى هريرة رضى الله عنه قال:

«أتى جبريل.. النبى.. صلى الله عليه وسلم.. فقال:

«يارسول الله.. هذه خديجة، قد أتت معها إناء فيه إدام، أو طعام أو شراب، فاذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام.. من ربها، ومنى، وبشرها ببيت فى الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب»[1]

* * *

استئذان هالة بنت خويلد:

- عن عائشة قالت:

«استأذنت هالة بنت خويلد، أخت خديجة، على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعرف استئذان خديجة، فارتاح لذلك.

فقال: اللهم هالة بنت خويلد..

---

(١) رواه البخارى

فغرت فقلت، وما تذكر من عجوز من عجائز قريش، حمراء الشدقين، هلكت في الدهر، فأبدلك الله خيراً»(١)

قوله «فارتاح لذلك» أي هش لمجيئها وسر بها، لتذكره بها خديجة وأيامها.

وفي هذا كله دليل لحسن العهد.. وحفظ الود، ورعاية حرمة الصاحب والعشير في حياته ووفاته، وإكرام أهل ذلك الصاحب.

«حمراء الشدقين» معناه عجوز كبيرة، حتى سقطت أسنانها من الكبر، ولم يبق لشدقها بياض شيء من الأسنان.. إنما بقي فيه حمرة لثاتها.

- قال العلماء: الغيرة مسامح للنساء فيها.. لا عقوبة عليهن فيها لما جبلن عليه من ذلك، ولهذا لم تزجر عائشة عنها.

قال القاضي: وعندي أن ذلك جرى من عائشة، لصغر سنها وأول شبيبتها».



شهادة النبي صلى الله عليه وسلم:

- كان صلى الله عليه وسلم: أعظم الناس اخلاصاً ووفاء، لم ينس زوجه وأم أولاده وذاك الدليل.

- عن عائشة قالت:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم.. لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة، فيحسن الثناء عليها.

فأدركتني الغيرة فقلت: وهل كانت إلا امرأة عجوزاً، فقد أبدلك الله خيراً منها؟

فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب، ثم قال:

«لا.. والله ما أبدلني الله خيراً منها، آمنت بي إذ كفر الناس.. وصدقتني إذ كذبني

(١) أخرجه مسلم.

الناس، وواستنى فى مالها إذ حرمنى الناس، ورزقنى منها الولد إذ حرمنى أولاد النساء..»

فقالت عائشة: «فقلت فى نفسى، لا أذكرها بسيئة أبداً»[1]

* * *

زواج النبى صلى الله عليه وسلم من خديجه:

كانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة، مع ما أراد الله بها من كرامته، فلما أخبرها ميسرة ما أخبرها به، بعثت إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فقالت له فيما يزعمون: ياابن عم، إنى قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك - من الوسط وهو من أوصاف المدح - فى قومك وأمانتك وحسن خلقك، وصدق حديثك، ثم عرضت عليه نفسها، وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسباً، وأعظمهن شرفاً، وأكثرهن مالاً كل قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه.

* * *

فى سيرة ابن هشام:

(فلما قالت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم - ذكر ذلك لأعمامه - فخرج معه عمه حمزة بن عبدالمطلب - يرحمه الله - حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها اليه فتزوجها)[2]

ويقال:

إن عمه أباطالب هو الذى نهض مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى خطب خطبة النكاح، وكان مما قاله فى تلك الخطبة:

«أما بعد: فإن محمداً ممن لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح به شرفاً ونبلاً

---

(١) رواه ابن عبدالبر.

(٢) (١ / ١٧٤).

وفضلاً وعقلاً، وإن كان فى المال قل، فإنما المال ظل زائل، وعارية مسترجعة، وله فى خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك».

* * *

لحظة الارتجاف:

هى اللحظة التى بدء فيها الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ويذكر لخديجة بنت خويلد وقوفها معه فى هذه الحظة وطمأنتها لنبى الله وذهابها لورقة بن نوفل وحسن قولها ونصرتها.

وقبل ذلك كانت الرؤيا الصالحة.

ـ فعن عائشة أم المؤمنين انها قالت:

«أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت قبل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتجنث فيه، وهو التعبد ـ الليالى ذوات العدد.. قبل أن ينزع الى أهله، ويتزود لذلك. ثم يرجع الى خديجة، فيتزود لمثلها.

حتى جاءه الحق، وهو فى غار حراء..

«فجاءه الملك، فقال: اقرأ.

قال: ما أنا بقارىء.

قال: فأخذنى نفطنى.. حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى.

فقال: اقرأ.

قلت: ما أنا بقارىء.

فأخذنى.. نفطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال: اقرأ.

فقلت: ما أنا بقارىء، فأخذنى نفطنى الثالثة، ثم أرسلنى، ...» الحديث.

* * *

ثم قالت خديجة فجمعت عليها ثيابها، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى بن قفى، وهو ابن عمها، وكان ورقة متبصراً، وقرأ الكتب، وسمع من أهل التوراة والإنجيل، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم - أنه رأى وسمع، فقال ورقة بن نوفل - قدوس قدوس، والذى نفس ورقة بيده، لئن كنت صدقتينى ياخديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى وانه لنبى هذه الأمة، فقولى له: فليثبت.

فرجعت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبرته بقول ورقة ابن نوفل، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف، صنع كما كان يصنع: بدأ بالكعبة، فطاف بها، فلقيه ورقة بن نوفل، وهو يطوف بالكعبة، فقال: ياابن أخى أخبرنى بما رأيت وسمعت، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له ورقة: والذى نفسى بيده، إنك لنبى هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى، ولتكذبنه، ولتؤذينه، ولتخرجنه، ولتقاتلنه، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصراً يعلمه، ثم أدنى رأسه منه، فقبل يافوخه، ثم انصرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى منزله.

* * *

تثبت خديجة من الوحى:

- «قال ابن اسحاق: وحدثنى اسماعيل بن أبى حكيم مولى آل الزبير: أنه حُدث عن خديجة رضى الله عنها أنها قالت لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أى ابن عم، أتستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك اذا جاءك؟ قال: نعم، قالت: فاذا جاءك فأخبرنى به، فجاء جبريل عليه السلام، كما كان يصنع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - لخديجه - ياخديجة، هذا جبريل قد جاءنى، قالت: قم ياابن عم فاجلس على فخذى اليسرى، قال: فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجلس عليها، قالت: هل تراه؟ قال نعم، قالت: فتحول، فأجلس على فخذى اليمنى، قالت: فتحول رسول الله -

صلى الله عليه وآله وسلم ـ فجلس على فخذها اليمنى، فقالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحول فاجلس فى حجرى، قالت: فتحول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجلس فى حجرها ـ قالت: هل تراه: قال نعم، قال: فتحسرت وألقت خمارها ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جالس فى حجرها، ثم قالت له: هل تراه؟ قال: لا، قالت يا ابن عم، اثبت وأبشر، فوالله إنه لملك وماهذا بشيطان»[1]

فهذه هذ خديجه.

أول من أسلمت من النساء فى الاسلام..

ومن ساندت النبى صلى الله عليه وسلم.

ومن أنفقت أموالها فى سبيل الله.

فاستحقت ـ وبجدارة ـ أن ترتقى.. لتكون سيدة نساء العالمين..

* * *

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (أ/٢٢٣).

الفصل الرابع

فاطمة بنت محمد

صلى الله عليه وسلم

رضى الله عنها

فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم

حب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولما لا.. وهى بضعة منه.

من آذاها فكأنما أذى النبى صلى الله عليه وسلم.

ومنها سيفا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهى الوحيدة التى عاشت بعد النبى صلى الله عليه وسلم.

وهى الوحيدة التى أنجبت ليخرج منها نسل النبى صلى الله عليه وآله وسلم..

وهى فاطمة زوج على المكرم الذى لم يسجد وجهه لصنم قط، ولم يسجد إلا لربه عز وجل..

وهى أم الحسن وأم الحسين..

وهى الشريفة النبوية..

وهى الإبنة البارة..

وهى بنت النبى صلى الله عليه وسلم.

وكفاها فخراً أنها فاطمة الزهراء بنت محمد بن عبدالله خاتم رسول رب العالمين وإمامهم..

- وهى بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحب بناته إليه وأكرمهم وأعزهن عليه، وزوجة سيدنا على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه، وأن السيدين الكريمين سيدنا الحسن وسيدنا الحسين وغيرهما من النسل الطاهر الشريف..

كانت رضى الله تعالى عنها لينة العريكة، دمثة الأخلاق، حسنة الادارة لبيتها، مطيعة لزوجها، غير مترفعة عليه، بره بأولادها، محسنة لهم ذات ورع متناة وكمال زائد، وبقل باهر، كيف إلا ألا وهى بضعة - أى قطعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمها خديجة الكبرى رضى الله تعالى عنهما.

- أخرج الترمذى عن جُميع بن عمير التيمى يرحمه الله تعالى قال:

دخلت مع عمتى على عائشة، فسألت: «أى الناس كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: فاطمة، قيل: من الرجال؟ قالت: زوجها، إن كان علمت صواباً قواماً».

- وأخرج الترمذى أيضاً عن بريده رضى الله عنه قال:

«كان أحب النساء الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة ومن الرجال علىٌ» قال ابراهيم: يعنى: من أهل بيته.

* * *

والسيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم هى أفضل نساءالعالمين لا يعدلها فى الفضل أحد منهن، وإحدى الكاملات الآتى ورد الحديث الشريف بذكرهن وهو «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلاَّ آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد».

وقد ولدت قبل الهجرة بثمانى عشرة سنة، وتوفيت بعدها باحدى عشرة سنة بعد والدها النبى الأعظم صلى الله عليه وسلم بستة أشهر كما أخبرها بذلك بهذا وهو فى حالة الاحتضار بأنها أول أهله لحوقاً به، ولها من العمر تسع وعشرون سنة.

ولها من النسل الطاهر الحسن والحسين وزينب وغيرهم، وكلهم من سيدنا على كرم الله عنه ولم يتزوج عليها فى حياتها أصلا، وأما بعد وفاتها فتزوج بكثير.

* * *

وعن محمد بن شهاب الأزهرى يرحمه الله أن على بن الحسين بن على حدثهم:

«أنهم حين قدموا المدينة من عند يزيد بن معاوية مقتل الحسين بن على لقيه المسور، فقال له: هل لك الىَّ حاجة تأمرني بها، قال: فقلت له: لا. فقال له: هل أنت مُعطى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنى أخاف أن يقلبك القوم عليه؟ وأيم الله، لئن أعطيتنيه لا يخلص اليه أبداً، حتى تبلغ نفسى، إن على بن أبى طالب خطب بنت أبى جهل على فاطمة، فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس فى ذلك على منبره ـ وأنا يومئذ محتلم ـ فقال: إن فاطمة منى، وأنا أتخوف أن تفتن فى دينها، ثم ذكر مهراً له من بنى عبد شمس، فأثنى عليه فى مصاهرته إياه، فقال. حدثنى فصدقنى ووعدنى فوفانى، وإنى لست أحرِّم حلالاً، ولا أحل حراماً، ولكن والله، لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله مكاناً واحداً أبداً».

ـ وفى رواية على بن الحسين: أن المسور بن مخرمة قال:

«إن علياً خطب بنت أبى جهل، وعنده فاطمة ابنة النبى صلى الله عليه وسلم فسمعت بذلك فاطمة، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يزعم قومك: أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علىٌّ ناكحاً ابنة أبى جهل، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعته حتى تشهدُ يقول أما بعد،

فإنى أنكحت أبا العاص بن الربيع، فحدثنى فصدقنى، وإن فاطمة بضعة منى، وأنا أكره أن يسوؤها ـ وفى رواية أن يفتنوها ـ والله، لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد أبداً.

فترك علىٌّ الخطبة..

وفى أخرى قال «سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول: ـ وهو فى المنبر ـ وان ابن هشام بن المغيرة أستأذنونى فى أن ينكحوا ابنتهم علىٌ بن أبى طالب، فلا آذن لهم، ثم لا آذن لهم، إلا أن يريد ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم، فإنما هى بضعة منى، يريبنى ما رابها، ويؤذينى ما آذاها».

وفى رواية مختصراً: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«فاطمة بضعة منى، فمن أغضبها فقد أغضبنى»[1]

* * *

ـ وأخرج الترمذى عن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا فاطمة عام الفتح، فناجاها فبكت، ثم حدثها فضحكت قالت: فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتها عن بكائها وضحكها؟ قالت" أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يموت، فبكيت، ثم أخبرنى: أنى سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم ابنة عمران، فضحكت».

ـ وعن عائشة رضى الله عنها قالت «دعا النبى صلى الله عليه وسلم فاطمة فى شكواه التى قبض فيها، فسارّها بشىء فبكت، ثم دعاها فسارّها فضحكت، فسألتها عن ذلك؟ فقالت:

«سارنى النبى صلى الله عليه وسلم: أنه يقبض فى وجعه الذى تعرض فيه فبكيت، ثم سارنى: أنى أول أهله يتبعه فضحكت».

ـ وفى رواية قال «كن أزواج النبى صلى الله عليه وسلم عنده لم يغادر منهن واحدة فأقبلت فاطمة تمشى، ما تخطىء مشيتها من مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا، فلما رآها رحب بها، وقال: مرحباً بابنتى، ثم أجلسها يمين عينه ـ أو عن شماله ـ ثم سارها، فبكت بكاء شديداً.

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم والترمذى وأبوداود، أنظر جامع الأصول (١٠/٨٢، ٨٣).

فلما رأى جزعها سارها الثانية، فضحكت، فقلت لها: خصك رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين نسائه بالسِّرار، ثم أنت تبكين؟ فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: ماكنت لأفشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم سره.

قالت: فلما توفى رسول الله صلى الله عيه وسلم قلت: عزمت عليك بما لى عليك من الحق، لما حدثتنى ما قال لك رسول الله صلى الله عيه وسلم.

فقالت: أمّا الآن فنعم، أما حين سارنى فى المرة الأولى، فأخبرنى أن جبريل كان يعارضه القرآن فى كل سنة مرة، أو مرتين، وأنه عارضه الآن مرتين، وأنى لا أرى الأجل إلاَّ قد اقترب، فاتقى الله واصبرى، فانه نعم السلف أنا لك. قالت: فبكيت بكائى الذى رأيت.

فلما رأى جزعى سارّنى الثانية، فقال: يافاطمة، أما ترضين أن تكونى سيدة نساء المؤمنين ـ أو سيدة نساء هذه الأمة ـ ؟ قالت فضحكت ضحكى الذى رأيت».

ـ وفى أخرى قالت:

«لما كان يوم الاثنين الذى توفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: أصبح رسول الله كأنه وجد خفه، فافترق الناس عنه، واجتمع نساؤه عنده، لم يغادر منهم امرأة، ثم أقبلت فاطمة، فلا والله ما تخفى مشيتها من مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رآها استبشر وتهلل وجهه، فسارها فبكت، ثم سارها فضحكت فقلت: ما رأيت كاليوم أقرب فرحاً من بكاء، ثم سألتها عما سارّها به».

فقالت: ما كنت لأفشى سر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فلما مات رسول الله سألتها، وقلت لها: بما لى عليك من الحق، إلا ما أخبرتنى، فقالت: أسرَّ الى: أى بنية، إن جبريل كان يعارضنى بالقرآن فى كل عام مرة، وإنه عارضنى به الآن مرتين، وما أرانى إلا قد اقترب أجلى، فلا تكونى دون امرأة صبراً، فبكيت، فقال: أما ترضين أن تكونى سيدة نساء أهل الجنة، وانك أول أهلى لحوقاً بى، فضحكت»[1]

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم والترمذى وأبوداود والترمذى، أنظر جامع الأصول (٨٤/١٠).

وهى: التى كانت تعمل فى بيتها تدق النوى ويحمل الماء حتى ظهر ذلك على يديها.

وهى بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم..

وهى أم سبطى رسول الله صلى الله عليه وسلم..

لذا.. فهى تستحق أن تكون سيدة نساء أهل الجنة..

* * *

الفصل الخامس

آسية امرأة فرعون

آسية امرأة فرعون

هــي:

عاشت بين جدران الملك،

وما أدراك ما الملك..؟

ثم ما أدراك ما الملك؟

إنه عالم اللذة والركون إلى الدنيا، والتمرغ فى النعيم..

إنه السيطرة الكاملة على الخلق الذود عنهم أو الانتقام منهم..

ولم يكن ملكاً قليلاً أو ضعيفاً..

بل كان ملك فرعون،

وما أدراك ما فرعون؟

قال الله عنه «وفرعون ذى الأوتاد، الذين طغوا فى البلاد، فأكثروا فيها الفساد، فصب عليهم ربك سوط عذاب».

لكنها لم ترض بذاك النعيم، ولا بهذا الملك، نظرت وتأملت فاذا بها تجد نفسها وقد آمنت بالله، فآثرت ذلك الايمان على كل غال ونعيم، على كل لذة فانية، فباعت نفسها لله،

وتاجرت معه.. فكانت خير تجارة.. واستحقت أن تكون سيدة نساء العالمين.

- وهى امرأة فرعون كانت من خيار النساء المعدودات بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال:

«كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد»[1]

- كانت زوجة فرعون ملك مصر، ولكن لم يكن يقدر أن يصل اليها بمنع الهى حيث كانت مؤمنة وهو كافر، وكان مع ذلك محباً مطيعاً لها لا يصدر إلا عن رأيها، ولها اليد الطولى فى انجاء ابن أخيها سيدنا موسى من شر فرعون مذ كان طفلاً، حيث كان يقتل الذكور من المواليد ويستحى - أى يستبقى - الاناث، وذلك بسبب ما أخبره به بعض الكهنة أنه سيكون هلاكه وزوال ملكه على يد ولد ذكر يولد من بنى اسرائيل، وقد كان لم يغن عنه حذره شيئاً.

وعرف فرعون بعد أن كانت مؤمنة مدافعة عن سيدنا موسى عليه السلام فأقسم بألوهيته لتذوقن الموت أو لتكفرن بالله، فأبت أن تكفر فمدت بين أربعة أوتاد ومازالت تعذب حتى ماتت ولسانها لا يفتر عن ذكر الله.

وقد أخبر الله تعالى فى قرآنه.

﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا إذ قالت رب ابن لي بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين﴾[2]

وقد جعل الله حالها مثلاً لحال المؤمنين فى أن وصلة الكفرة لا تضرهم حيث كانت فى الدنيا تحت أعدى الله عز وجل، وهى فى الجنة فى أعلى غرفها، رحمها الله تعالى.

---

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه والإمام أحمد عن أبى موسى الأشعرى.

(٢) ١١ : التحريم.

فى تاريــخ ابن الاثيــر:

«كان مؤمن آل فرعون يكتم إيمانه.

فلما رأى غلبة موسى السحرة أظهر إيمانه.

وكان له امرأة مؤمنة تكتم إيمانها أيضاً.

وكانت ماشطة ابنة فرعون

بينما هى تمشطها إذ وقع المشط من يدها فقالت: بسم الله.

فقالت ابنة فرعون: أبى؟

قالت: لا.. بل ربى وربك.. ورب أبيك

فأخبرت أباها بذلك.

فدعا بها وبولدها وقال لها: من ربك؟

قالت: ربى وربك الله.

فأمر بتنور نحاس فأحمى، ليعذبها وأولادها.

فقالت: لى اليك حاج.

قال: وماهى؟

قالت: تجمع عظامى وعظام ولدى فتدفنها.

قال: ذلك لك.

فأمر بأولادها فألقوا فى التنور واحداً واحداً.

وكان آخر أولادها صبياً صغيراً.

فقال: اصبرى ياأماه، فإنك على الحق.

فألقيت فى التنور مع ولدها!

ثم يقــول:

«وكانت آسية امرأة فرعون.. مؤمنة تكتم إيمانها. فلما قتلت الماشطة رأت آسية الملائكة تعرج بروحها، كشف الله عن بصيرتها، وكانت تنظر إليها وهى تعذب، فلما رأت الملائكة قوى إيمانها وازدادت يقيناً وتصديقاً لموسى.

فبينما هى كذلك إذ دخل عليها فرعون فأخبرها خبر الماشطة.

قالت له آسية: الويل لك! ما أجرأك على الله؟

فقال لها: لعلك اعتراك الجنون الذى اعترى الماشطة؟

فقالت: مابى من جنون.. ولكنى آمنت بالله تعالى.. ربى وربك.. ورب العالمين.

فدعا فرعون أمها وقال لها: إن ابنتك قد أصابها ما أصاب الماشطة فأقسم لتذوقن الموت أو لتكفرن بإله موسى.

فخلت بها أمها وارادتها على موافقة فرعون

فأبت وقالت: أما أن أكفر بالله فلا والله!

فأمر فرعون حتى مُدَّت بين يديه أربعة أوتاد وعذبت حتى ماتت..

فلما عاينت الموت قالت:

«رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة، ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين»(١)

فكشف الله عن بصيرتها فرأت الملائكة وما أعد لها من الكرامة»

قال العلامة ابن كثير:

كانت امرأة فرعون تعذب فى الشمس، فاذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها.. وكانت ترى بيتها فى الجنة.

---

(١) ١١ : التحريم.

وكانت امرأة فرون تسأل من غلب؟ فيقال غلب موسى وهارون، فتقول: آمنت برب موسى وهارون.

فأرسل إليها فرعون، فقال: أنظروا أعظم صخرة تجدونها، فإن مضت على قولها.. فالقوها عليها.. وإن رجعت عن قولها فهى امرأتى..

«فلما أتوها.. رفعت بصرها إلى السماء.. فأبصرت بيتها فى الجنة..

فمضت على قولها.. وانتزعت روحها..

وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح».

* * *

وصدق نبى الهدى ومعلم الأمة صلى الله عليه وسلم إذ قال:

«حسبك من نساء العالمين:

مريم ابنة عمران..

وخديجة بنت خويلد..

وفاطمة بنت محمد..

وآسية امرأة فرعون..»

إنها امرأة عبّاده ليست رجلاً يتحمل المشاق، إلاّ أنها تسامت فوق الرجال، وارتقت لتصبح آسية امرأة فرعون سيدة نساء العالمين.. من بنى الله لها بيتاً فى الجنة.. وفضلها وسيدُها..

يكفيها أن أنزل الله فيها قرآناً يمجدها ويقرأ إلى يوم القيامة..

* * *

الفصل
السادس

الصالحات

أم موسـى

قال الله تعالى «فرددناه إلى أمه كى تقر عينها ولاتحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون»[1]

فى بيت صغير زمن فرعون الطاغوت، جلست طفلة صغيرة تطلب من أمها أن يكون لها أخ صغير تحمله، لكن الطاغية قد فرض بقتل كل غلام يولد فى بنى اسرائيل.. وذلك لمقولة الكهنة والعرافين له: بأنه سيولد غلام فى هذه السنة، يسلبك الملك، ويغلبك على سلطانك، ويخرجك وقومك من أرضك، ويبدل دينك..

لقد نظر الطاغية فى وجوه الكهنة والعرافين وقد أهمه ما سمع ثم قال:

«إذن يقتل كل غلام يولد فى بنى اسرائيل»

وأسرع جنود فرعون الى القوابل من النساء بأمر فرعون الذى يقول: لايسقط على أيديكن غلام وليد إلا قتل، ولا جارية إلا تركت..

وعلمت أم موسى بهذا الخبر، وكانت حاملا فى طفل ولا تعرف أيخرج جنينها ذكرا أو أنثى..

وتستغرق المرأة فى صمت مع يقين بالله يتملكها، وإذا بصرخة من هنا أو صرخة من هناك فى جوف الليل البهيم، إنها صرخة أم يذبح جنود فرعون بشفراتهم المرهفة وليدا وضعته لتوها، وتستعيذ المرأة المؤمنة حين تسمع ذلك من الشيطان الرجيم الذى يبدد كل وسوسة للشيطان يريد أن يزلزل فيها ثبات الإيمان فى قلبها، همس الشيطان لها: سوف تصرخين نفس الصرخة حين تضعين وليدك، ويأخذه جنود فرعون من بين أحضانك ويقتلونه أمام عينيك..

لكنها تعتصم بالله عز وجل، وتفوض أمرها الى الله..

وجاءتها آلام المخاض، فأسرعت الى غرفتها وتبعتها ابنتها تسألك: ماذا بك يا

---

(١) ١٣: القصص

أماه؟ فأجابتها: بخير يابنيتي، وخرجت الابنة من غرفتها وما هى إلا لحظات حتى سمعت صوت موسى الكليم نبى الله ورسوله.

نظرت أم موسى إلى وليدها وقلبها قد امتلأ بالخوف والاشفاق، ولكن المولى سبحانه الذى اتجهت اليه، وتوكلت عليه بث فى روعها الأمن والاطمئنان.. قال تعالى:

«وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولاتخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين»[1]

وجاءت أم موسى بتابوت صغير من البردى، وأخذت موسى بين يديها تقبله فى حنان الأمومة مرة وتضعه إلى صدرها أخرى، ثم قالت: اطمأن قلبى بما أوحاه الله الى فلا خوف عليك ولا حزن يابنى، فالله حافظك وراعيك.. ولن يخلف الله وعهده أبداً..

وضعت أم موسى وليدها فى التابوت ثم أخذت التابوت بيديها ووضعته فى الماء طافيا فوقه، وهى ممسكة بطرف التابوت، واذا بأقدام تسرع من خلفها تمسك بها وتقول: يا أماه.. أماه ما هذا أتلقين بأخى موسى فى اليمن ليموت غرقا؟ ونظرت الأم إلى بنتها قائلة: لن يموت يا صغيرتى.. انه وعد الله..

ومضت أم موسى داخل الدار حيث صور الحق تبارك وتعالى حالتها آنذاك فقال:

«وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين»[2]

لقد صار فؤاد أم موسى فارغا من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسى، لقد كانت بين أمرين: إما أن تتركه ليأتى جنود فرعون ليقتلوه أمام ناظريها وإما أن تنفذ ما أمرها الله به.. ولكن الضعف البشرى يداخل النفس، فما هى إلا لحظات يتزلزل فيها اليقين ليشرق فجر أمل ينبعث من اعانة الله للانسان ليتخفى تلك اللحظات

(١) ٧ : القصص.
(٢) ١٠: القصص.

العصبية، وليعود إلى شاطىء اليقين.. لقد أصبح فؤاد أم موسى فارغاً، فى كلمات قليلة صور الحق تبارك وتعالى الموقف النفسى كله لهذه الأم التى وضعت وليدها بيديها فى تابوت فى النهر ليأخذه الموج والتيار الى حيث لاتدرى.

وتمر هذه اللحظات بها كأنها سنوات، إلى من تتحدث عن الامتحان الكبير الذى تجتازه، وحديث النفس للنفس يخفف من وقع ما تجد.

لكن.. شاءت ارادة الله أن يدفع تيار النهر بالتابوت إلى شاطىء النهر عند قصر فرعون، وكانت الجوارى يقفن عند الشاطىء الذى يطل عليه القصر، فلفت نظرهن شىء سابح فى اتجاه القصر، واقترب ذلك الشىء رويداً رويداً، واذا به تابوت من البردى قد أغلق.. لقد قالت واحدة منهن: إنها ثروة من الجواهر.. وقالت الأخرى: بل هو وعاء سقط من أحد الصيادين..

وأمسكت به إحداهن.. فقمن بفتحه فاذا هو تابوت به طفل صغير.. فاندهشن وقالت واحدة منهن: أسرعوا بهذا الطفل إلى زوج فرعون آسية..

وأسرع أحد الحراس الى آسية وكانت قد ألقت نظرة على الطفل فوقع فى قلبها موقع الحب.. فاذا بالجندى يقول: معذرة يا مولاتى.. إنه طفل من بنى اسرائيل ولابد أن يقتل..

قالت: انصرف الآن فسوف آتى فرعون أستوهبه منه، فإن وهبه لى فسوف أبقيه، وان لم يفعل أخذتموه لتذبحوه..

قالت له آسية «قرة عين لى ولك لاتقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لايشعرون»[1]

ولكن القدرة الإلهية التى تضرب أمام الناس لمحات من أثرها، ليوقن الناس بأن

---

(١) ٩ : القصص.

خلاق السماوات والأرض قادر على كل شيء.. دفعوا بموسى إلى المراضع فى القصر، ورفض أن يلتقم ثدى أية واحدة..

نعم: عجيب أمر هذا الرضيع

قال تعالى: «وحرمنا عليه المراضع من قبل»[1]

وقالت له آسية: انك ستهلك ان لم ترضع، وأمرت الجوارى بأن يبحثن له عن مرضعة كانت أخت موسى تمضى باحثة عن أخيها، وقادتها قدماها إلى القرب من قصر فرعون، فإذا بالجوارى يخرجن من باب القصر ومعهن موسى فى طريقهن الى السوق ليبحثوا له عن مرضعة، لعله أن يقبل الرضاعة من واحدة منها، ولم تبد الأخت ما يشعر انها تعرفه واقتربت منهن قائلة:

«هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون»[2]

لقد طوع الله قلوب الجوارى لسماع هذه الطفلة ومضين إلى بيت أم موسى ودخلوا عليها، وإذا بها تنظر الى ابنها موسى بين يدى واحدة منهن، لقد كادت أن تنطق صائحة انه ولدى ولدى ولدى، ولكن أسرعت واحدة منهن قائلة: هل لك أن ترضعى ذلك الطفل.. وأخذت أم موسى وليدها ووضعته على صدرها لترضعه والتقم الثدى وعلامة الرضا فى وجهه الصغير بعد أن عاف كل المرضعات من قبل..

نظرت أم موسى الى وجه وليدها وهى ترضعه، وتمتمت شاكرة الله سبحانه، لقد وعدها حفظ موسى ورده اليها، وهاهو ذا قد تحقق ذلك، وبقى أن يكون رسولاً عندما يريد الله..

أسرعت جارية من الجوارى الى زوج فرعون تبشرها بأنهم عثروا على مرضعة قبل موسى أن يرضع منها، سرت بذلك امرأة فرعون وطلبت أن تحضر إلى القصر..

---

(١) ١٢ : القصص.
(٢) ١٢ : القصص.

سمعت أم موسى الجارية وهى تقول لها: امرأة فرعون تريدك فى قصرك لتقيمى وترضعى الوليد الذى قبل أن يرضع منك، وأحست أم موسى بالقلق، ولكنها تذكرت وعد الله لها الذى تحقق، فمضت إلى امرأة فرعون وهى تحمل موسى على صدرها.

ودخلت أم موسى الى بهو كبير حيث تجلس آسية امرأة فرعون التى نظرت إليها، وقالت: غريب أمرك أيتها المرأة، كيف رفض ذلك الوليد كل المرضعات وقبل الرضاعة منك؟

أحست أم موسى بالخوف بم تجيبها؟ ولكنها ما كادت تهم بالحديث حتى قالت امرأة فرعون الصالحة: سوف تقيمين معنا هنا فى القصر، لأنه يبدو عليك أنك امرأة طيبة.

فقالت أم موسى: مولاتى ان لى زوجا وأولاداً ولا أقدر على المقام عندك، ولكن ان أحببت أرضعه فى بيتى، فعادت ووافقت امرأة فرعون على ذلك وأعطتها مالا وثياباً وهدايا ورتبت أجرا لها مقابل ذلك..

ولم يكن بين فراق أم موسى لموسى وعودته إليها إلا يوم أو بعض يوم، وهاهى ذى تعود به من قصر فرعون لتقوم على ارضاعه، وليجرى عليها أجر مقابل ذلك، ولذلك ضرب النبى صلى الله عليه وسلم بأم موسى مثلا فقال:

«مثل الذى يعمل ويحتسب فى صنعته الخير كمثل أم موسى ترضع وليدها وتأخذ أجرها»..

وقرت أم موسى بابنها عيناً، متذكرة قدرة الله سبحانه الذى لايخلف وعده، والذى جعل قصتها فى القرآن الكريم عبرة متجددة أمام المؤمنين وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها..

نعم.. صدق الله العظيم:

«فرددناه إلى أمه كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق، ولكن

أكثرهم لا يعلمون»[1]

* * *

امرأة العزيز

وضعناها بين الصالحات لأن العبرة بالنهاية، ونهاية هذه المرأة كانت التوبة والصلاح..

لقد سماها بعضهن «زليخا» وسماها آخرون «راعيل»..

كانت فى أبهى صورة لها تزينت وتعطرت ووقفت فى شرفة قصرها التى يطل على نيل مصر، تريد أن يكون لها طفلاً جميلاً، تستطيع أن تتبنى طفلا، لكن هذا لن يرضى غريزة الأمومة.. فهى تريد وتحلم بأن تحمل كما تحمل النساء وتلد وتربى وتدلل..

وفى هذه الحالة سمعت صوت أقدام زوجها ينادى عليها لكنها رأت زوجها يمسك فى يده غلاما ما رأت جماله من قبل، تعلقت به عيناها واقتربت منه سألته: ما أسمك؟ قال: يوسف، ما كاد الغلام ينطق باسمه حتى أردف العزيز قائلا: لقد اشتريته من قافلة وجدته فى بئر فى الصحراء «أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا»[2]

ومرت الأيام ودارت الأزمان، وشب يوسف عن الطوق، وأصبح فتى جميلاً لايوجد من هو أجمل منه..

كانت كلما التقت عيناها بعينى يوسف أحست برغبة جامحة فى أن تحتويه بين ذراعيها لاتفارقه ولكنها لاتجد فى يوسف معاملة لا تحمل لها ما تحمله من مشاعر..

وكان السؤال الذى يلهب روحها وقلبها بقسوته، أيحبها يوسف مثلما تحبه؟! أيحمل لها نفس المشاعر التى تحملها له؟ كان قلبها يقول لها: تصرفات يوسف لاتدل على ذلك، ولكنها كانت لاتريد أن تسمع تلك الاجابة..

---

(١) ١٣ : القصص.

(٢) ٢١ : يوسف.

ويوما: قررت أن يكون اللقاء بيوسف، اختارت أجمل ثيابها، وتزينت بشيء من أنواع الزينة، ثم عطرت جسدها بعطر نفاذ لايقاوم رجل رائحته، وأخذت تصفف شعرها حتى انتهت من اكمال زينتها تلفتت حولها فلم تجد أحدا من وصيفاتها، فالكل فى حجرته فى هذا الوقت المتأخر من الليل، كما أنها تعلم أن زوجها مشغول بأمور لن يعود منها قبل الصباح استدعاه من أجلها حاكم مصر..

مضت إلى حجرة يوسف فوجدتها موصدة وقد أطفأ السراج، فطرقت على الباب فهب من نومه، وأشعل السراج، ثم تقدم الى الباب ففتحه فاذا بامرأة العزيز فى مواجهته، وجدت امرأة العزيز فى عينى يوسف القلق والخوف وعدم الاستجابة، فمالت نحوه فابتعد عنها فقالت له:

ما هذا يا يوسف؟ لم تبتعد عنى وأنا أموت شوقا اليك؟! لم تجد من يوسف الاستجابة، فاقتربت منه وقالت له: يا يوسف ما أحسن شعرك!

قال: هو أول شيء ينتثر من جسدى بعد موتى

فقالت له: يا يوسف ما أحسن عينيك؟

قال: هما أول ما يسيل فى الارض من جسدى

قالت: ما أحسن وجهك!

قال: التراب يأكله

قالت: لقد انحلت جسدى بجمال وجهك

قال: الشيطان يعينك على ذلك

قالت له: يا يوسف لابد من قضاء ما جئت من أجله!

فقال لها يوسف: وأين الفرار من غضب الله إن عصيته؟

علمت امرأة العزيز أن يوسف لن يستجيب لما جاءت من أجله، فاقتربت منه أكثر

وألقت بنفسها على صدره، حسبت أن يوسف قد انصاع لها، وهم بأن يبادلها ما أرادت ولكن وجدته يمضى مسرعاً خارجاً من باب الغرفة متجهاً إلى باب القصر..

جن جنونها، كيف يستعلى يوسف بالعفة على هذا الجمال الأخاذ، أسرع يوسف هارباً من الوقوع فى الخطيئة، وأسرع امرأة العزيز خلفه حتى تمسك به لترغمه على ما أرادت.. وحينما أدركته تعلقت بقميصه من الخلف وجذبته بقوة وغيظ مانعة له من الخروج، وشقت قميصه من دبر، وفجأة وجدت نفسها ويوسف وجها لوجه أمام زوجها وهو يدخل مع ابن عم لها، فبادرته قائلة: **«ماجزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم»**(١)

أرادت أن تظهر أن يوسف هو الذى يراودها، ويسير وراءها، ويطلب منها ما حرم الله وأنها ممتنعة من ذلك، وأن يوسف لم يرع حق التربية للعزيز وحق العطف بعد أن اشتراه وأكرمه.. وفى نهاية الأمر وبعد أن شب عن الطوق أخذ يراود امرأة من رباه عن نفسه.

لكن يوسف يعلم أن هذا هو الكذب، ولكنه لايستطيع أن يدافع عن نفسه فقال:

«هى راودتنى عن نفسى»(٢)

وأراد الله سبحانه أن يبرهن على براءة يوسف فنطق طفل رضيع كانت أمه وهى قريبة لها قد وصلت به لتوها إلى القصر، أشار إليه يوسف **«وشهد شاهد من أهلها»** فنطق الطفل بقدرة الله قائلا:

«إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين، وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين».

كلام فى غاية المنطقية، فإن أرادها يوسف شدها وهى تجرى، وأن ارادته هى

---

(١) ٢٥: يوسف
(٢) ٢٦: يوسف

شدت فقطعت قميصه..

وعندئذ أسرع الزوج ينظر إلى قميص يوسف فوجده ممزقا من الخلف من أثر امساك زوجته به، فعرف خيانة امرأته وبراءة يوسف، فقال «انه من كيدكن إن كيدكن عظيم».

ثم نظر إلي يوسف قائلا: «يوسف اعرض عن هذا».

أراد منه ألا يذكر ما حدث لأحد حتى لايشيع بين الناس فضيحة زوجه، ثم أمرها وهو المغلوب على أمره «واستغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين»[1]

واعتكف يوسف طيلة الأيام التى أعقبت هذا الحادث..

ومضت الأيام ثقيلة على نفس امرأة العزيز، وكانت تتحين الفرصة لتعاود الكرة مرة ثانية..

وامتلأت سماء عاصمة مصر بشائعات وقصص حول ماحدث، كانت كل مجالس النساء لا حديث لها إلا عن امرأة العزيز ويوسف..

فجاءتها الأخبار بما يدور حولها وعن يوسف، وامتلأت غيظاً حين سمعت ذلك..

ثم عاد إلى امرأة العزيز هدوءها بعد أن استبد بها الغضب، وأخذت تحاور نفسها: أنا امرأة وهن نسوة ولابد من السخرية منهن كما سخرن منى، إن كن سخرن بألسنتهن، فسوف تكون سخريتى أقصى عليهن.

وخرجت من غرفتها إلى الشرفة التى تطل على نيل مصر، وأخذت تتأمل صفحة النهر، وقد أخذت تلك الرياح الوادعة تداعبها فتحدث بها أمواجها هادئة، وريح الورود المنبعث من الجنائن التى تحيط بالقصر تعطر الجو من حولها، جالت بتفكيرها هنا وهناك..

---

(١) ٢٨، ٢٩: يوسف

وأخيرا استقر تفكيرها على أمر، لم لا تضع النسوة اللائى تحدثن عن حبها ليوسف فى تجربة كاشفة؟ لم لاتدعوهن الى القصر فى جلسة سمر تدعوهن اليها من قبل، ثم تخرج عليهن يوسف بجماله الأخاذ، لترى وقع ذلك عليهن.. سوف يكون فى المجلس فاكهة تقدمها اليهن، وسوف تؤتى كل واحدة منهن سكينا، لتقطع بها من يقدم اليها من فاكهة، وسوف ترى ما يحدث حين يخرج عليهن يوسف بغية فيبهرهن جماله!

واستجابت نساء الطبقة الراقية وحضرن إلى المجلس، وقالت امرأة العزيز ليوسف الذى كان فى قاعة مجاورة «أخرج عليهن» فخرج يوسف عليه السلام فهالهن أمره، وقطعن أيديهن بالسكاكين اللاتى معهن، وهن يحسبن أنهن يقطعن الفاكهة، فما شعرن إلا بالدم يسيل من ايديهن، فانتبهن بعد أن قلن:

«حاش لله ماهذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم»[1]

حينئذ كست ملامح امرأة العزيز علامات الجد والاهتمام، وتحول وجهها الجميل إلى وجه قطة متوحشة وهى تقول مشيرة الى يوسف:

«فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكوناً من الصاغرين»[2]

وسمع يوسف من كل الحاضرات رغبة فيه كما رغبت فيه امرأة العزيز، وأعلن استعصامه بالحق «قال رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه وإلا تصرف على كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين»[3]

ودائما يثبت الله عباده المخلصين الذين يلوذون به ويلجأون اليه فاستجاب له:

«فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم»[4]

---

(١) ٣١: يوسف
(٢) ٣٢: يوسف
(٣) ٣٣: يوسف
(٤) ٣٤: يوسف

وانصرفت نسوة المدينة وأيديهن مليئة بالجراح لما أصابها من رؤية يوسف.. .

ومضت امرأة العزيز تسأل زوجها أن يخفى يوسف عن المدينة حتى لايسود حالها فدفع العزيز بيوسف إلى السجن.

ومضت الأيام ومرت الأزمان، وحدثت قصة تأويل المنام، وأولها يوسف عليه السلام وجيء به الى قصر فرعون وهناك تقابلت والنسوة التى قطعن أيديهن اللاتى شهدن الحق.. ووجدت امرأة العزيز نفسها تتكلم وتقول «الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين، ذلك ليعلم انى لم أخنه بالغيب وأن الله لايهدى كيد الخائنين وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى إن ربى غفور رحيم»(١)

وقيل: إن يوسف بعد زمن تزوجها لما تابت وأظهرت صلاحا.. ولذا رأينا ذكرها ضمن الصالحات، على أساس اعلان ندمها فى هذه الآية الأخيرة، والندم توبة.. والله تعالى أعلم.

* * *

بلقيس ملكة سبأ

كان نبى الله سليمان قد سخر الله له الجن والطير والوحش، فأخذ سليمان عليه السلام يتفقد الطير، ونظر فيمن حوله من الطير وتساءل «مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين»(٢)

واقترب العقاب وهو سيد الطيور من سليمان وقال: يا نبى الله سوف أبحث لك عنه، وبجناحيه الكبيرين كان فى كبد السماء بعد لحظات، وببصره الثاقب كان يبحث عن الهدهد بين الطيور، ووجده يطير عائدا الى سليمان، واتجه نحوه سريعا، وحين رأى الهدهد العقاب يريده بسوء قال له: بحق الذى قواك واقدرك على إلا رحمتنى ولا

---

(١) ٥١ ـ ٥٣: يوسف (٢) ٢٠، ٢١: النمل

تتعرض لى بسوء، فقال له العقاب: أين كنت؟ ان نبى الله سليمان قرر أن يعذبك أو يذبحك. فقال الهدهد خائفا: وما استثنى نبى الله؟ قال: بلى، انه قال: أو ليأتينى بسلطان مبين.

فطار الهدهد والعقاب حتى أتيا سليمان، فاقترب الهدهد من سليمان فسأله نبى الله: ما الذى أبطاك عنى؟ فقال الهدهد: **«أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين، انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم»**(١)

وسأل سليمان عن اسمها فأجابه الهدهد اسمها بلقيس، وطلب سليمان ان يصف الهدهد عرشها فقال له: به خمسمائة اسطوانة طول كل واحدة خمسون ذراعاً، وفى كل زاوية به من الزوايا قبة من ذهب، وفى داخله سرير ملكها، له أربع قوائم من در وياقوت وزمرد..

وأخذ الهدهد يطنب لسليمان فى وصف ما رأى، وكيف أنهم يعبدون الشمس من دون الله، فكر سليمان ثم قال: **«سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين»**(٢)

ثم أمر سليمان عليه السلام بأدوات الكتابة وكتب: من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس، ملكة سبأ، بسم الله الرحمن الرحيم، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد **«ألا تعلوا على وأتونى مسلمين»**(٣)

وفرغ سليمان من كتابة هذا الخطاب الموجز، وختمه بخاتمه وقال للهدهد:

«اذهب بكتابى هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون»(٤)

أخذ الهدهد الكتاب، وذهب الى اليمن، ودخل على الملكة من نافذتها، وألقى الكتاب عليها، فهبت مذعورة وتساءلت: من ياترى هذا الذى أرسل هذا الكتاب، ولما رأت الهدهد يقف بالقرب من النافذة ونظرت إلى خاتم الكتاب الذى ختم به عرفت أنه من سليمان

---

(١) ٢٢، ٢٣: النمل
(٢) ٢٧: النمل
(٣) ٣١: النمل
(٤) ٢٨: النمل

نبى الله، وأنه أعظم ملكاً منها.

خرجت الى قومها وتحدثت اليهم «إنى ألقى الى كتاب كريم، انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم، ألا تعلوا على وأتونى مسلمين»[١]

صمت القوم كأن على رؤوسهم الطير وصرت بلقيس يطلب منهم أن يقطعوا برأى فى أمر ذلك الكتاب «يا أيها الملأ افتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهد ان»[٢]

أجاب القوم بلقيس «نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر اليك فانظرى ماذا تأمرين»[٣]

ورأت بلقيس أن قومها يريدونها حربا ضد سليمان، وهى تعلم من هو سليمان، لكنهم لايعلمون.

أكثرت من التفكير ثم قالت «إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة»[٤]

سمع قوم بلقيس منها هذا القول وتذكروا أن لها الكثير من التجارب السابقة والآراء التى كان لعقلها الراجح فيها سلامة شعبها.

أرهف القوم سمعهم لملكتهم وهى تقول «وإنى مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون»[٥]

علم القوم من ذلك انها سوف ترسل بهدية الى سليمان وقومه، وسألوها: لم تختارين هدية تقدمينها لسليمان وقومه؟ فقالت: سوف تكون هذه الهدية مصانعة له عن

---

(١) ٢٩ ـ ٣١: النمل.
(٢) ٣٢ : النمـــل.
(٣) ٣٣ : النمـــل.
(٤) ٣٤ : النمـــل.
(٥) ٣٥ : النمـــل.

ملكى، واختبره بها أملك هو أم نبى؟ فإن يك ملكا قبل الهدية وانصرف، وان يك نبياً لم يقبل الهدية ولم يرض منا إلا أن نتبعه على دينه، ووافق القوم على ذلك.

وجمعت بلقيس الهدية والتى تتكون من غلمان وجوارى، وألبست الغلمان لباس الجوارى، وألبست الجوارى لباس الغلمان، وجعلت أساور الذهب فى أيدى الغلمان الذين يرتدون زى الجوارى، وأمرتهم حين يكلمهم سليمان ألا يظهروا فى أصواتهم أنهم غلمان حتى لايعلم الحقيقة.

ومضت القافلة إلى سليمان فلما رأى الهدية قال:

«أتمدونن بمال فما آتانى الله خير لما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون»(١)

أى انكم أهل التفاخر والتكاثر والزهو فى الدنيا، وليست حاجتى الى الدنيا، ثم قال لكبيرها «ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون»(٢)

وعادت القافلة وعندما علمت بلقيس قالت: والله ماهذا بملك وما لنا به من طاقة، وأرسلت اليه رسالة تخبره فيها بقدومها اليه.. وأمرت بلقيس بعرضها فوضع تحت حراسة مشددة وأغلقت دونه الأبواب، ووكلت به حراساً يحفظونه.

وجاء الركب، فنظر إليه سليمان من بعيد وسأل عنه، فقيل إنه موكب سبأ، وتذكرنبى الله سليمان صفة العرش الذى لها فى قصرها، وأراد أن يريها قبل حضورها، فاقبل على أتباعه وجنوده وقال:

«أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين»(٣)

وأجابه بعضهم:

---

(١) ٣٦: النمـــــل.
(٢) ٣٧: النمـــــل.
(٣) ٣٨: النمـــــل.

«قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك، وانى عليه لقوى أمين»[1]

فأراد نبى الله أسرع من ذلك، وحينئذ قال آصف بن برخيا «وكان عنده علم من الكتاب» وكان بشرا وليس من عفاريت الجن **«أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك»[2]**

ووافق سليمان فقال له آصف: انك نبى وابن نبى وليس أحد عند الله أوجه منك، فإن دعوت الله كان عندك، وفى حلظة كان عرش بلقيس عند سليمان، فنظر سليمان عرش بلقيس فرآه مستقرا أمامه فقال **«هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم»[3]** وفكر نبى الله فى ان يجعل الجن تغير فى العرش شيئا منها ثم يسألها.

ودخلت بلقيس عليه وسألها ان أراها عرشها: اهكذا عرشك؟ نظرت بلقيس الى العرش، ان به بعض التغييرات، ولكنه العرش الخاص بها التى تركته فى اليمن، والذى عنيت جنوداً وحراساً لحراسته.. فهاهو ذا العرش يسبقها عند سليمان.. فقالت:

«كأنه هو، وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين»[4]

وأراد نبى الله أن يبهر بلقيس بما أكرمه الله من ملك، وكان قد أمر الجن بأن تبنى صرحا، وهو قصر من الزجاج، اجروا الماء تحت أرضه، والسمك بجرى فيه، فكأن السائر على ذلك يسير على الماء ويرى فى أعماقه من ذلك الماء.

وظلت بلقيس تنظر وتنظر الى ملك سليمان الذى اعطاه الله له، فآمنت بالحق وتزوجت نبى الله سليمان ودخل نور الإيمان قلبها وقالت:

«رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين»[5]

* * *

---

(١) ٣٩: النمل. (٢) ٤٠: النمل.
(٣) ٤٠: النمل. (٤) ٤٢: النمل. (٥) ٤٤: النمل.

زينب بنت جحش

ذهب زيد بن حارثة مهاجرا من مكة الى المدينة المنورة، وهو الذى تبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن جاء أبوه وعمه من اليمن ليطلبا من النبى - صلى الله عليه وسلم - أن يعودا به، وخيره النبى صلى الله عليه وسلم - فاختاره البقاء معه على العودة مع أبيه وعمه..

فاكرمه النبى - صلى الله عليه وسلم - غاية الاكرام - وأعلن أنه قد تبناه، وله حق الإرث منه، وزوجه من ابنة عمته زينب بنت جحش وهى معروفة بنسبها وشرفها ولم تستطع زينب ولا قومها مراجعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى تعلم أنها قرشية ذات أصل عريق.

أما زيد فقد جاءت به أمه وهو غلام لزيارة قومها، فأغارت خيل لبنى القين على أبيات معن فأسروا زيدا ومضوا به وهو غلام، فأتوا به سوق عكاظ فعرضوه للبيع واشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بأربعمائة درهم، فلما تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم وهبت زيداً له.

وتم زواج زيد من زينب، كانت زينب تستشعر تعاليا على زيد لما تعرفه من أصله وما تعرفه من أصلها.. كما تقدم.. لذلك كان الخلاف يدب بينهما لأدهى الاسباب.. وما كانت لتستمر حياة كهذه بين الزوجين، ولقد كان زيد يتذكر ذلك اليوم الذى أنزل الله فيه قوله الكريم «ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وما جعل أزواجكم اللاتى تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل ادعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفوهكم، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل، ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم»[1]

ولهذا لم يعد زيد ابناً للنبى صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية، فلم يعد أحد

---

(١) ٤ ، ٥ : الأحزاب.

بعد هذا يدعوه - زيد بن محمد - ولكن سيدعونه يزيد بن حارثة - ذلك لأن الله قد حرم ذلك التبنى، الذى كان فى زمن الجاهلية وفى بدء عصر النبوة المحمدية.. تفاقم الخلاف بين زيد بن حارثة وزينب بنت جحش ولم يكن هناك غير سبيل واحد هو الطلاق.

ولله سبحانه فى كل أمر حكمة، فقد كان طلاق زيد وزينب سبيلا لتحديد حكم من أحكام إلغاء التبنى، وهو زواج من تبنى مطلقة ابنة الذى كان قد تبناه، فما دام الله سبحانه قد ألغى التبنى فقد ألغى كل ما يترتب عليه، إذن فلا حرج من زواج من تبنى من مطلقة من كان قد تبناه.

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الزوجين إلى إصلاح ما فسد من أمرهما متجاهلا الحكم المقضى به فى أمر الزواج وهو الفراق الذى لابد منه.

إن النبى - صلى الله عليه وسلم - يعمل هنا على مستوى الحياة البشرية ويعالج أمراً بين شخصين لم ينكشف لهما من حجب الغيب ما تكشف له منه، وكان مقتضى ذلك أن يدعو الزوجين إلى المياسرة والمحاسنة، أما مايؤل إليه أمرهما بعد هذا فأمره إلى الله، وكان أمر الله مفعولا، وعلى هذا المفهوم ينظر فى قوله سبحانه وتعالى «وإذ **تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه**»[1]. ففى ذلك إشارة إلى ما كان يخفيه النبى صلى الله عليه وسلم من أمر الزواج، وأنه فتنة إلى الطلاق.

وتم الطلاق، وزوج الله بأمره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من زينب، وكانت حكمة الله بالغة كما جاء فى قوله تعالى «**لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا**»[2]

وتتابعت آيات كريمة تؤكد ان ذلك قضاء الله لا حرج فيه، «**ما كان على النبى من**

---

(١) ٣٧: الأحـــزاب
(٢) ٣٧: الأحـــزاب

حرج فيما فرض الله له سنة الله فى الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا،[1] فلا حرج فى أمر قدرة الله وأمر به، ثم يختم الله سبحانه الآيات التى جاءت فى زواج زينب من رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله «ما كان محمدا أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شىء عليما»[2]

وذلك صارت زينب بذلك أما من أمهات المؤمنين بزواجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحين علمت بزواج النبى صلى الله عليه وسلم منها سجدت لله شكراً، فقد صارت واحدة من أمهات المؤمنين.

كانت زينب تعلم مقدار فضل الله عليها، فكانت تفخر بذلك وتقول لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم – ما أنا كإحدى نسائك، ليست امرأة من نسائك إلا زوجها أبوها أو أخوها أو أهلها، فهل غيرى زوجك الله بها من السماء؟ كانت اسمها بره فلما دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سماها زينب.

كانت زينب ذات قلب رحيم تعطف على الفقراء والمساكين والضعاف وتتصدق عليهم بما استطاعت وخاصة اليتامى الذين أخذوا من قلبها مكانة كبيرة من الرحمة والحنان، كانت ترعاهم وتساعدهم وهى التى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين منزلة من يحسن إلى اليتيم بقوله الكريم «أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين» فكانت أماً لليتامى من بعد فقد أمهاتهم.

مضت بها السنون فى رحاب النبى صلى الله عليه وسلم عابدة مؤمنة محسنة، لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لزوجاته أمهات المؤمنين «أسرعكن لحاقاً بى أطولكن يدا» فكن يتنافسن فى الصدقة.

ولحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى، وعاشت بعده تسرع فى اخراج الصدقة حتى تلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) ٣٨: الأحزاب

(٢) ٤٠: الأحزاب

وكان لها عطاء من بيت مال المسلمين فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وحين أخذته قالت: اللهم لايدركنى هذا المال من قابل فانه فتنة ثم قسمته فى أهل رحمها وفى اليتامى والمساكين، وبلغ عمر ما فعلت فأرسل اليها مالا فسلكت به نفس المسلك ووزعته على الفقراء واليتامى.

وماتت رضى الله عنها عام عشرين هجرية.

* * *

ميمونة بنت الحارث

دخل المسلمون مكة عام الفتح فاتحين مهللين مكبرين.. متأكدين واثقين من وعد الله لهم، ولن يخلف الله وعده.. «لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لاتخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا»[1]

أخذ المسلمون يطوفون حول الكعبة، وترتفع تلبياتهم من حولها لتصل إلى كل سمع من الذين يقبعون فى الجبال، وقد هز مشهد المسلمين قلوبا من الأعماق، فدخلها نور الحق، ومهد الطريق لها للإيمان، كما حدث مع خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وكانت هناك أسرة أراد الله لها الخير، أخوات أربع سماهن رسول الله صلى الله عليه وسلم الأخوات المؤمنات، منهن أم الفضل زوج العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسماء بنت عميس، وسلمى بنت عميس، وبرة بنت الحارث أمهن هند بنت عوف التى يمثل فيها أكرم عجوز فى الارض أصهار هند بنت عوف أصهارها: رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر الصديق رضى الله عنه، وحمزة والعباس إبنا عبدالمطلب رضى الله عنهما وجعفر وعلى إبنا أبى طالب رضى الله عنهما.

---

(١) ٢٧: الفتـــح.

وكانت برة تلك قد ترملت بعد ان مات زوجها أبو رحم العامرى وهى فى ريعان الشباب عمرها ستة وعشرون عاما، كان زوج أختها العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، برغم انه لم يهاجر إلا أن شغله الشاغل كان إبن أخيه رسول الله.. كان منه بمنزلة الأب والعم والأخ، وهذا الذى وقف ليستوثق من عرض أهل المدينة عليه بالهجرة اليهم، كما أنه أكره على الخروج إلى بدر مع أهل مكة وأسره المسلمون، وطوال السنوات لا هم له سوى أن يطمئن على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكانت برة تسمع من زوج أختها العباس الكثير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وامتلأ قلبها بحبه، حتى إذا جاء رسول الله ومعه المسلمون لأداء عمرة القضاء كانت برة تجول بعينيها باحثة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الجموع.

وجدت برة أنها لاتستطيع أن تكتم السر فى قلبها، ولكن لمن تتحدث به؟ فكرت فى أمها هند، ولكنها تراجعت فلا تدرى ماذا سوف ترد عليها حين تسمع منها، وزاد من قلقها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين لن يمكثوا طويلا فى مكة، ان الشروط التى بينهم وبين قريش جعلت بقاءهم ثلاثة أيام فحسب، هل تمضى تلك الأيام وسرها المكنون لم تقص به لأحد!

باتت أول ليلة حائرة، وفى الصباح لمحت أختها أم الفضل زوج العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم أسرعت نحوها، وتوقفت أم الفضل لترى ماذا تريد.. ولكنها سكتت، فسألتها: ماذا وراءك يا برة؟ فأحمر وجهها وتلعثمت ولم تستطع أن تجيب بشىء، وبعد أن هدأتها أختها وذكرتها أنها أختها الكبرى فقالت برة: لقد جئت لأبوح لك بسر أرقنى وسهرنى..

انتحت بها أم الفضل ناحية من الجبل، وأصوات المسلمين تتهافت إلى المسامع وهم يطوفون حول الكعبة.. واستدارت برة وأم الفضل تجاه تلك الأصوات ومالت أم الفضل لتسأل أختها: وما هو ذلك السر؟ قالت برة والكلمات تتلعثم على شفتيها: أريد الزواج من محمد.. فتبسمت أم الفضل ابتسامة حانية وقالت: أملى خيراً إن شاء الله.

دار الزمن ببرة.. فهى تعلم أن العباس يمكنه أن يحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وتوقف الزمن حينئذ وطاقت بها الأرض بما رحبت.. أين تذهب وإلى من تفضى بسرها .. لم تجد خيراً من أختها أم الفضل لتعاود الذهاب إليها، ووجدت عندها سكينة نفسها قالت لها أم الفضل: سوف يعود لك العباس بما يسرك.. سألتها برة فى عجلة من أمرها: أحقا ما تقولون؟ قالت لها أم الفضل: قلبى يحدثنى أو رسول الله صلى الله عليه وسلم سوف يقبل.

أحست برة أن الدنيا كلها تبتسم لها، أحقا سوف يقبل بها رسول الله زوجة؟ أخذت الأمانى العذاب تأخذها الى كل ناحية، وإذا بالعباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود ليحمل البشرى بموافقة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الزواج منها.. كان معه رجل، انه ابن عمه جعفر زوج أختها أسماء جاء ليخطبها له، وليعلن أن صداقها أربعمائة درهم.

كم تمر الأيام سراعاً، فالأيام الثلاث التى وافق المشركون للمسلمين على البقاء فيها فى مكة قد قاربت على الانتهاء، وأراد النبى الكريم أن يعرض على قريش أن يبقى بعد تلك الأيام حتى يعرس ببرة فى مكة ويقيم الوليمة ليحضرها أهل مكة، ولكن القلوب الجاحدة خشيت أن بقاء المسلمين فى مكة سوف يجذب الناس للإسلام، فرفضت العرض قائلة: لا حاجة لنا فى طعامك فاخرج عنا..

نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرف، وسماها ميمونة، وعادت معه إلى المدينة المنورة لتعيش كأم من أمهات المؤمنين، وتمضى سنوات قليلة يلحق بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى وتوصى ميمونة أن تدفن فى مكان القبة التى أعرس فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بها فى سرف.

ويتحقق لها الأمل، وكفاها أن الله عز وجل أنزل فيها قرآنا يتلى حتى يرث الارض ومن عليها..

«وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها إن أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين»[1]

* * *

كبيشة بنت معن

كان أبو قيس صيفى بن الأسلت الانصارى شاعراً يتأله ويدعى الحنيف فلم يكن أحد من الأوس والخزرج أوصف لدين الحنيفية ولا أكثر مساءلة عنها من أبى قيس بن الأسلت، فكان يسأل أهل الكتاب عن دينهم، فكان يقاربهم ثم يخرج إلى الشام فنزل على آل جفنة فاكرهوه ووصلوه وسأل الرهبان والأحبار فدعوه الى دينهم فامتنع فقال له راهب منهم: يا أبا قيس إن كنت تريد دين الحنفية فهو من حيث خرجت وهو دين إبراهيم.

ثم خرج أبو قيس الى مكة معتمراً فبلغ زيد بن عمرو بن نفيل فكلمه فكان يقول: ليس أحد على الحنفية - دين ابراهيم - إلا أنا وزيد بن نفيل..

وكان أبو قيس يذكر صفة النبى - صلى الله عليه وسلم - وأنه يهاجر الى يثرب.

وشهد أبو قيس وقعة بعاث التى كانت بين الأوس والخزرج.

ولما هاجر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من مكة إلى يثرب قابله أبو قيس بن الأسلت وسأله: إلام تدعو؟

تذكر النبى - صلى الله عليه وسلم - له شرائع الاسلام فقال أبو قيس: ما أحسن هذا وأجمله. أنظر فى أمرى وأعود اليك.

ولقى عبد الله بن أبى بن سلول أبا قيس بن الأسلت فقال له: بلغنى أنك قابلت صاحبك.. يعنى النبى صلى الله عليه وسلم..

---

(١) الأحزاب: ٥٠

فقال أبو قيس بن الأسلت: إنه يدعو الى مكارم الأخلاق.

فقال عبد الله بن أبى سلول: لقد لذت من حزبنا كل ملاذ تارة تحالف قريشا وتارة تتبع محمداً..

وماتت زوجة أبى قيس وتركت له ولداً ـ تيساً ـ فذهب أبو قيس إلى قوم امرأته وطلب منهم أن يعيش معهم ولكنهم قالوا له: انكح زوجة أخرى.

وشرعوا عليه أن يختار زوجة تحسن معاملة ابنه قيس..

ولما أسلم أبو قيس بن الأسلت عام الفتح، وتزوج كبيشة بنت معن، وعاشت معه فى سراء الحياة وضرها.. ولم تنجب له، فاتخذت ابنه ولداً لها..

ومرض أبو قيس يوما فجلست كبيشة تمرضه، ولم يفكر فى شىء إلا الوصية بابنه فأوصاها خيراً به.. ومات أبو قيس بن الأسلت..

وأقبل أهل الابن وهمسوا فى اذنه أن يتزوج امرأة أبيه، هكذا كانت عادة العرب إذا توفى عن المرأة زوجها وللزوج ابن من غيرها يلقى عليها ثوباً وكان أحق بها، أى ورث نكاحها أو حبست تموت فيرثها، فخطب ابن قيس كبيشة بنت معن.

لكن.. كيف ترث المرأة ولا تتزوج، وكيف تصير حبيسة البيت لايسمح لها بالخروج؟

أمعنت فى التفكير فذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن قالت له: انما أعدك ولدا وأنت من صالحى قومك ولكن أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمره..

فانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له: يانبى الله أن أبا قيس قد هلك وإن ابنه تيسا من خيار الحى خطبنى إلى نفسى فقلت: ما كنت أعدك إلا ولداً وما أنا بالتى أسبق رسول الله صلى الله عليه وسلم بشىء، فسكت النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال: «ارجعى الى بيتك».

وجاء الوحى ونزل التنزيل من فوق سبع سماوات: «ياأيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولاتعضلوهن لتذهبوا ببعض ماأتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة»(١)

ثم أنزل «ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف»(٢)

* * *

سارة زوجة ابراهيم

نزلت سارة زوجة أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام مع زوجها وابن أخيه لوط ونزل الجميع مجران ثم رحلوا بعد ذلك إلى فلسطين، ولكن الأرض أجدبت فى فلسطين، فمضى ابراهيم ومعه زوجه إلى مصر فى زمن الهكسوس.

علم ابراهيم عليه السلام أن فرعون مصر يطمع فى النساء، وكانت سارة على قدر كبير من الجمال، فقال لها: إن هذا الجبار حين يعلم أنك زوجتى يغلبنى عليك، فان سألك فأخبريه أنك أختى، فإنك أختى فى الاسلام، فإنى لا أعلم فى الارض مسلماً غيرك وغيرى.

وبعد دخوله مصر رآها أحد أعوانه فقدم إليه قائلا: أيها الفرعون العظيم لقد قدم أرضك امرأة لاينبغى أن تكون إلا لك لجمالها، فأرسل على الفور من يحضرها اليه، وحين وصلت اليه قبض الله يده وشلت، فقال لها: ادعى الله أن يطلق يدى ولا أضرك، ودعت سارة ربها فأطلق الله يده، ولكنه بعد أن اطلقت يده أراد أن يمدها اليها فشلت مرة أخرى، وطلب منها أن تدعو له حتى يطلق يده ولايمسها بسوء ففعلت، فأطلق الله يده ولكنه عاود النكث بعهده فشلت يده بقسوة، فقال لها: ادع الله أن يطلق يدى وعهد لا نكث فيه لا أمسك بسوء، فدعت الله فأطلق يده، فقال لمن أحضرها: لقد أتيتنى بشيطان ولم تأتنى بانسان، فأخرجها من أرضى، وأمر لها بجارية هى هاجر، وعادت

---

(١) ١٩: النســـاء.   (٢) ٢٢: النســـاء.

إلى إبراهيم عليه السلام فسألها عما حدث لها فقالت: خيراً، كف الله يد الفاجر وأخذ منى خادماً.

مضى لوط الى قوم سدوم وعمورة يدعوهم إلى عبادة الله وحده، أما ابراهيم وسارة فقد رحلا إلى فلسطين..

كان يؤرق سارة أنها عاقر، والأزمان تمر والسنون تتوالى وليس لها ولد.. ويوماً دخلت عليها جاريتها هاجر لتقدم لها الماء، ونظرت اليها سارة وتأملت: ان هذه الجارية تصلح أن تكون زوجة لابراهيم تهبه الولد، ولكنها تراجعت، لتفكيرها فى أنه لو قدر الله له أن يتزوج هاجر ورزق منها الولد فسوف ينساها ويذرها، لكنها بعد تأمل فى حياتها معا، وفى مكانته عنده علمت أنه ليس هو الذى ينساها ويذرها لانجابه الولد من أخرى.

وتزوج ابراهيم من هاجر وولدت اسماعيل، فبدأت الغيرة تدب فى قلب سارة كيف أنها تسببت فى زواج زوجها من جاريتها وأصبح لها المكانة العظمى بولدها فى قلب ابراهيم..

لقد طلبت من إبراهيم ابعادها وابنها، ولأمر إرادة الله مضى إبراهيم بهاجر وابنها الرضيع إلى واد غير ذى زرع ليصبح بعد ذلك مكانا تهوى إليه القلوب وتشتاق له الأنفس وتحن الأبدان للسفر اليه.. إنه المكان الذى أقيم به بيت الله الحرام.. وفجر تحت قدم ابنها الرضيع زمزم الذى هو آية من آيات رب العالمين.

وذات يوم جاء نفر ودعاهم إبراهيم ولأن الكرم صفة التصقت بابراهيم عليه السلام فقد أمر لهم بعجل سمين وتم شواء العجل وقدم للضيوف فامتنعوا عن تناول الطعام، فأوجس منهم خيفة وتعجب من أمرهم.

لكنه عرف بعد ذلك انهم من الملائكة وليسوا من البشر وقد جاءوا إلى قوم لوط الفاسقين.. لكنهم جاءوا أيضا الى إبراهيم وهم يحملون بشرى طيبة وأملا طالما حلمت به سارة، جاءوا يبشرونها بحمل.. فتعجبت وكانت تقف بعيدا من وراء الجدران تستمع

«فضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب»[1].. فتعجبت أكثر.. كيف وأنا امرأة فى التسعين.. «ياويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا إن هذا لشىء عجيب»[2].. فطمأن ملائكة الله سارة فالله سبحانه وتعالى قادر على كل شىء، قالوا «أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد»[3]

وحقق الله سبحانه ما وعدها، فقد صارت أماً لاسحاق ويعقوب وصارت مثلاً على قدرة الله سبحانه.. وعمرت حتى صارت سنها مائة وسبعا وعشرين سنة، وماتت فى الخليل على أرض فلسطين..

* * *

المرأة التى سمع الله قولها
«خولة بنت ثعلبة»

حينما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يثرب، اختلف أوس بن الصامت زوج خولة بنت ثعلبة وابن عمها مع عبد الله بن رواحة وتنازعا أيهما ينزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ كانا شاعرين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال «انزل على نبى النجار أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك».

وشهد أوس بن الصامت بدراً مع النبى صلى الله عليه وسلم وكان شاعراً..

أخبر أوس بن الصامت زوجه بفضل صلاة الجماعة، فكانت حريصة على الصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصبح قلبها معلقا بمسجده..

وذات ليلة قال أوس لخولة: جهزى لى راحلة وزادا فإنى سأذهب إلى محل كذا.. فذكرته أن يقول إن شاء الله وذكرته بالحديث الوارد فى ذلك.. فقال أوس: غدا إن شاء

---

(١) ٧٠ ـ ٧٢: هـود.
(٢) السـابقة.
(٣) ٧٣: هـود.

الله سأسافر إلى محل كذا..

وذات يوم افتقر البيت كله من طعام، وعاد أوس إلى البيت جائعا فلم يجد ما يطعمه كما انه فى نفس الوقت لم يجد خولة زوجته التى كانت قد خرجت معه لتمضى إلى المسجد للصلاة، وليمضى هو الى نادى قومه ليجلس معهم، جلس أوس فى غيظ مكبوت، فخولة ليست أمامه حتى يثور عليها، مضت ساعة من زمن وقد استلقى أوس على الفراش لتدخل خولة، فإذا به يهب من فراشه ليسمعها كلامها ثقيلاً غير طيب ويقول لها: ويلك يا امرأة أكلت الطعام وحدك، وتحدرت على وجنتى خولة دمعات، فهى لم تذق طعاما منذ يومين، فقد كانت تؤثره بما يوجد من طعام وتحرم نفسها.

سكتت خولة واتقدت نيران أوس وجن جنونه فأخذ يلطمها بقسوة قائلا: أنت على كهظر أمى، أنت على كظهر أمى.. وخرج من بيته غاضباً..

جلست خولة تبكى والدموع تنهمر على خديها وتقول: أهكذا يا أوس، أهكذا تفعل بى، تطلقنى طلاق الجاهلية.. أهكذا.. أهكذا.

لم تدر من الزمن مرضى عاد أوس وبيده تمرات وقال لها: خذى فاطعمى، فقالت: أنا بحمد الله لا أشعر بجوع، قال: اذن آكلها أنا، وأخذ يلوك التمرات فى فمه لافظا النوى على الارض، حتى إذا انتهى من ذلك إذا به يقترب منها يريد ما يريده الرجل من المرأة، فابتعدت عنه ولكنه مضى وراءها يريد أن ينزع عنها ثيابها، فقالت له: إنى محرمة عليك، لقد ظاهرتنى وقلت أنت على كظهر أمى.. أنت على كظهر أمى..

لم يدرك أوس ما قالته خولة، فأمسك بها ليرقدها فدفعته وخرجت مسرعة خارج البيت.. ذهبت إلى جارتها والتى أجلستها وهدأتها وقدمت لها كوبا من اللبن شربته وثوباً لبسته، فثوبها مزقه أوس وهو يطاردها، وحكت لها حكايتها، فأشارت اليها بالذهاب إلى رسول الله صلى الله وسلم تستعينه فى أمرها.

ذهبت خولة إلى رسول الله وكان فى المسجد فأخبرته بما كان من أوس وما تلقى من سوء خلق ذلك الزوج ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ياخولة ابن عمك شيخ

كبير فاتق الله فيه» ونزل على النبى صلى الله عليه وسلم الوحى ثم سرى عنه فقال: ياخولة قد أنزل الله فيك وفى صاحبك قرآنا، ثم قرأ:

«قد سمع الله قول التى تجادلك في زوجها وتشتكى إلى الله، والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير، الذين يظاهرون منكم من نسائهم ماهن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائى ولدنهم وانهن ليقولون منكرا من القول وزوراً وإن الله لعفو غفور، والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون، والله بما تعملون خبير، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكيناً ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم»(١)

سمعت خولة أن الله أنزل فى شأنها قرآنا يتلى من فوق سبع سماوات فدمعت عيناها، فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم «ياخولة: مريه فليعتق رقبة» فقالت: يارسول الله ما عنده ما يعتق، فقال: فليصم شهرين متتابعين، فقالت: يارسول الله: إنه لشيخ كبير ما به وسع على صيام، فقال: فليطعم ستين مسكيناً وستاً من تمر، فقالت: يارسول الله ماذاك عنده، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فانا سنعينه بفرق من تمر، فقالت خولة: وأنا سأعينه بفرق آخر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد أصبت وأحسنت فاذهبى فتصدقى انه به ثم استوصى بابن عمك خيراً..

ومضت الأيام وجاء زمان خلافة عمر بن الخطاب فأوقفته وظلت تنصحه حتى أطالت عليه، فقال رجل: يا أمير المؤمنين: لقد ثقت عليك هذه العجوز، فقال عمر: ويلك أتدرى من هذه المرأة، هذه هى امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات، هذه خولة بنت ثعلبة التى أنزل الله فى شأنها صدر سورة المجادلة والله لو أنها وقفت الليل ما فارقتها إلا للصلاة ثم ارجع عليها.

* * *

---

(١) ١ ـ ٤: المجادلة.

مسيكة

عبد الله بن سلول رأس المنافقين افقده الاسلام الملك، فقد كان المنافق الكبير يستعد ليكون ملك يثرب، لذا فقد امتلأ قلبه بالحقد على الاسلام والمسلمين.. ومن احقاده الظاهرة انه كان حليف اليهود ضد الاسلام، وايضا اشاعته الفاحشة فى الذين آمنوا.

كان لعبد الله بن سلول جيوب للدعاة بها فتيات جميلات من يهود وغير يهود، ترفع أمام تلك البيوت رايات حمر لتعرف بها.. وكان من الفتيات اللاتى أكرههن قبل قدوم المسلمين إلى المدينة مسيكة وسمعت مسيكة من عبد الله بن سلول تحذيراً شديداً ـ لها ولزميلاتها اللاتى يمارسن البغاء ـ من اتباع كلام محمد بن عبد الله والاستماع إلى دعوته، بل إنه كان يرصد مكافأة مغرية لمن تستطيع اغواء احد أتباع محمد صلى الله عليه وسلم.

تساءلت مسيكة.. لم كل هذا الحقد.. وماذا نصنع بحياتنا تلك.. اخذت تتساءل وتتساءل واقتربت من نساء الانصار واستمعت الى آى الذكر الحكيم.. سمعت منهن «ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، إلا تذكرة لمن يخشى، تنزيلاً ممن خلق الارض والسماوات العلى، الرحمن علي العرش استوى، له ما فى السماوات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى، وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى، الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى».[1]

سألت مسيكة عن الاسلام، وسألت عن ذنوبها التى اقترفتها فعلمت سعة مغفرة الله ورحمته، ودخلت فى دين الاسلام وأسلمت نفسها لله عز وجل.

* * *

يوما: جلس ابن سلول فى بيته فقدم اليه جماعة يعرفهم من قيم وسألوه عن أجمل فتياته فأجاب: مسيكة؟، واتفق معهم على ارسالها لهم مع غيرها.

---

(١) ١ ـ ٨: طـــــه.

أمر ابن سلول بارسال مسيكة ومعها أخريات، ولكن قيم داره أجاب انها لا ترضى بهذا .. فدخلا عليها فوجداها تصلى.. فاندفع إليها ابن سلول يضربها بكل ما أوتى من قوة ووحشية، ويقول: ويل لك اغواك محمد، فقالت له: بل هدانى الله للحق.. فاشتد غضبه واشتد ضربه.

ووعد قيم داره ان يعيد مسيكة الى حظيرة الفاحشة مرة أخرى بطريقته، ودخل القيم على مسيكة ومعه إحدى الساقطات وتظاهر بألمه من حال مسيكة وما وقع عليها من الأذى وأمر الأخرى أن تضمد له جراحها، وأخذ يحدثها عن ابن سلول وأحواله وحاول استمالتها مرة أخرى.. لكنها اعتصمت بالله وأوت اليه.

لم تجد مكاناً تتجه اليه غير رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانتظرت حتى أرخى الليل سدوله ومضى ابن سلول ومعه قيم الدار، وفرت مسرعة حتى أتت امرأة عجوز مسلمة وطلبت منها المأوى حتى الصباح فرحبت بها، واشرق الصباح، ومضت المرأة مع مسيكة إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تقص عليه الأمر، ورآها أبو بكر الصديق فسألها عن الأمر فأخبرته أن ابن سلول يريد ارغامها على البغاء، ودخل أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يأخذه حيث يتنزل عليه الوحى من ربه سبحانه وتعالى.. لقد قال الله فى شأنها **«ولا تكرهوا فتياتكم علي البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرهنن فإن الله من بعد اكراههن غفور رحيم»**[1]

وعلمت مسيكة بما تنزل فى شأنها من السماء يؤازر موقفها .. وانتشر الخبر بين الناس، وانكشف أمر عبد الله بن سلول، فأخذ يقول: محمد يغلبنا على مملوكتنا ..

نعم.. لقد أراد الله لها التوبة، فتابت، وسجل القرآن الكريم قصتها وتوبتها.

* * *

---

(١) ٣٣: النـــــور.

أم كجـــة

كانت هذه المؤمنة - أم كجة - تمضى وزوجها إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تصلى خلف النبى صلى الله عليه وسلم..

ويوما: علمت بعزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج للتصدى لعير قريش العائدة مع أبى سفيان، ووجدت زوجها يخبرها بأنه سيمضى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم للتصدى لعير قريش، فقالت له على الفور: بارك الله فى صدق ايمانك يا أبا الابناء، والله لولا اننى حامل فى الشهر الأخير لخرجت معكم، أعد الطعام وأحمل السقاء.

ومضى الزوج مجاهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجلست أم كجة مع ابنتها حتى عاد المسلمون ظافرين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اليوم الذى وضعت فيه أم كجة بنتا ثانياً.

كان زوجها يأمل أن تلد له ذكراً.. لكن هكذا قدر الله رب العالمين..

واستدار العام، وعلم المسلمين قدوم المشركين للانتقام بعد بدر، وسمعت أم كجة رسول الله صلى الله عليه وسلم يستشير الناس: أيخرج لقتال المشركين عند أحد أم يتحصن فى المدينة المنورة حتى إذا جاءوا قاتلوهم على أفواه الطرق والأزقة، وبث رأس النفاق عبد الله بن سلول بنور الفتنة والخلاف، حتى غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حدث، ودخل منزله ولبس لامته وتأهب للخروج إلى المشركين مقاتلاً.

فى هذه المرة أرادت أم كجة أن تخرج مع زوجها، فأخذت تعد مجموعة من الخرق لتستعملها فى تضميد الجراح، وكذلك أخذت تعد السقاء.. فسألها زوجها: وبنتاى أين سوف نتركهما وأنت خارجة مع الجيش مثلى؟ فقالت له: سوف أتركهما عند أمى.. فقال لها: على بركة الله تخرجين.. فقالت له أم كجة: وهل تريد أن تحصل دونى على ثواب الجهاد وحدك؟ وخرجت أم كجة وحدث ماحدث فى غزوة أحد. واستشهد زوجها فعادت

إلى المدينة أرملة ترعى أبناءها من زوجها الشهيد..

ترك زوجها الشهيد ميراثاً يستطيع أن يفى بحاجة زوجته وبنتيه بعد رحيله، ولكن أخا له استولى على ما لهم من مالهم وحرم منه بنتى أخيه وزوجته..

وفشلت كل المحاولات التى حاولها الناس حتى يدع العم المال الذى تركه أخوه لتعيش منه أم كجة وبناتها.. ولم يكن أمام أم كجة إلا أن تمضى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله للعالمين، تشكو له قائلة: يارسول : هؤلاء بنتاى استشهد أبوهما معك يوم أحد، وقد أخذ عمهما مالهما كله، ولم يدع لهما مالا إلا أخذه، فما ترى يارسول الله، فوالله لن يتزوجن إلا بمال أبيهما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقضى الله فى ذلك..

وقضى الله فى أمرها بحكم جعله أساسا للمواريث بين المسلمين إلى أن تقوم الساعة فنزل قوله تعالى سبحانه «يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين، فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فان كان له أخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصى بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً»[1]

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن تحضر أم كجة وعم بنتيها وقال له: اعطهما الثلثين واعط امهما الثمن، وما بقى فهو لك، وكان ذلك بداية للمواريث فى الاسلام، وكانت أم كجة وبناتها أول من استفاد من نظامه العادل الذى جعله الله سبحانه أساسا لتوزيع التركة فى الاسلام.

* * *

---

(١) ١١: النســـــاء.

ماريــة القبطيــة

بعث النبى صلى الله عليه وسلم الى ملوك ورؤساء وأمراء الارض يدعوهم فيها الى توحيد المولى عز وجل..

وكان منهم المقوقس عظيم القبط فى مصر الذى حمل الرسالة اليه حاطب بن أبى بلتعة ونصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى..

أما بعــد..

فإنى أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فان توليت فإنما عليك اثم القبط جميعاً..

﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فان تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون﴾(١)

ووضع المقوقس رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مكانها من نفسه، وسأل حاطب أن يصف له رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يكمل بعض الصفات التى عرفها من الكتب القديمة عنه، ثم قال لحاطب: قد كنت أعلم أن نبيا قد بقى، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وهناك كان مخرج الأنبياء، فأراه قد خرج من أرض العرب، ولكن القبط لاتطاوعنى وأنا أضمن ملكى أن أفارقه، ثم كتب رداً لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه:«قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعوا إليه، وقد علمت أن نبيا قد بقى وكنت أظن أنه خرج من الشام، وقد أكرمت رسولك وبعثت لك بجاريتين لهما فى القنط مكان عظيم، وبثياب ومطية لتركبها، والسلام عليك»

---

(١) ٦٤: آل عمــران.

اختار النبى صلى الله عليه وسلم مارية، ووهب الأخرى وهى سيرين لحسان بن ثابت، وحينما علمت زوجات النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بنبأ مارية وتب الغيرة منها فى بعض القلوب..

ومضت الحياة ووضعت مارية ابنها ابراهيم عليه السلام والذى صارت بوضعه حرة، وسعدت المدينة كلها بذلك، وازدادت مكانة مارية فى قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم..

ويوما: غابت حفصة «زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم» عن حجرات النبى، فأدخل مارية حجرة حفصة، فلما عادت حفصة ووجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفصة فى حجرتها غضبت أشد الغضب وحدثت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى تبكى، وتأثر النبى بما سمع منها وأسر إليها أن مارية حرام عليه، وطلبت منها كتمان هذا السر، ولكن حفصة لم تكتم السر، بل أخبرت به عائشة، وشاع الخبر بين بقية الزوجات حتى أن عائشة طالبت ألا تبقى مارية فى المدينة.

وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حدث، وحلف ألا يقرب نساءه شهراً، وتنزلت الآيات من أول سورة التحريم..

«يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضات أزواجك والله غفور رحيم، قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم، واذ أسر النبى الى بعض أزواجه حديثا، فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت: من انبأك هذا قال نبأنى العليم الخبير، إن تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير، عسى ربه إن طلقكن ان يبدله أزواجا خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وابكاراً»[1]

---

(١) ١ ـ ٥: التحريـــــم.

وأحست حفصة بمدى الخطأ الذى فعلته حين أفشت سر رسول الله صلى الله عليه وسلم بشأن مارية.

وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم طلقها، وعلم عمر بذلك فحثا التراب على رأسه، وقال: ما يعبأ الله بعمر وابنته بعدها، ونزل جبريل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة بعمر.

ومضت الأيام ورسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا لنسائه، حتى أن بعض الناس قال: إن رسول الله طلق زوجاته.

وحاول عمر لقاء رسول الله وهو يقول مستأذنا غلامه رباح: يا رباح استأذن لى عندك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى أظن أنى جئت من أجل حفصة، والله لئن أمرنى بضرب عنقها لأضربن عنقها، وسمعه الرسول واذن له بالدخول، وزاد من تأثر عمر ما رآه من خال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متأثراً:

يارسول الله ما يشق عليك من أمر النساء إن كنت طلقتهن، فان الله معك وملائكته وجبريل، وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك، وأخبره الرسول صلى الله عليه وسلم انه لم يطلقهن ولكن هجرهن شهرا أدبا لهن.. وخرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعلن للمسلمين ان النبى لم يطلق نساءه.

وكانت هذه درساً لنساء النبى صلى الله عليه وسلم..

وشب ابراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم من مارية حتى بلغ عامين، ومرض مرضاً شديداً، فكانت أمه وخالته سيرين يقومان على تمريضه.. ويرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه ابراهيم يتألم فيقول:

«إنا يا ابراهيم لاتغنى عنك من الله شيئا»

ويسلم ابراهيم الروح، وينحنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبله ويقول وعيناه تدمع:

«إن العين لتدمع والقلب ليحزن ولاتقول إلا ما يرضى الرب، وإنا يا ابراهيم لفراقك لمحزونون وانا لله وانا اليه راجعون».

ويجهز ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليودع فى قبره، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يشيعونه، وصلى عليه النبى وأودعه فى قبره، وعاد ومن معه من المشيعين ليجدوا الشمس قد انكسفت، وقال الناس: حدث هذا لموت ابراهيم، وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قاله الناس فقال:

«إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت أحد أو لحياته».

ولحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى بعد ابراهيم لتعيش بعد ذلك أم ابراهيم مارية خمس سنوات لتحلق بربها، ولتبقى ذكراها فى القرآن الكريم فى سورة التحريم فيتذكرها الناس ويتذاكروا أنها ابنة مصر التى ولدت على ضفة النيل الشرقية فى بلدة «صفن» من بلاد صعيد مصر.

* * *

غزية بنت جابر

كانت غزية بنت جابر من أصحاب النفوذ والثراء فى مكة المكرمة، عرف عنها الجود والاحسان وكرم الضيافة، حتى انه كان ينزل عندها الضيفان فتنفق عليهم ابتغاء وجه الله تعالى.. وهى احدى اللاتى شرح الله صدورهن للاسلام فأسلمت بمكة كرمها الله وشرفها، وكانت تدخل بيوت نساء قريش تدعوهن الى الاسلام.

علم أبو جهل وسادات قريش فاغتاظوا لذلك وأرادوا ابعادها عن مكة، ولما هاجر زوجها أبو العسكر الدوسى مع عبد الرحمن بن صخر «ابو هريرة» جاء أهل أبى العسكر إلى غزية وكانت تدعى «أم شريك» وقالوا لها:

لعلك على دينـــه؟

فقالت: أى واللـــه انى لعلى دينــه

فقالوا : لا جرم والله لنعذبك عذاباً شديداً

فارتحلوا بها من دارها وحملوها على شر ركابهم ومنعوا عنها الماء حتى انتصف النهار، وتوهجت الشمس فنزلوا وضربوا خيامهم وتركوها فى الشمس حتى كاد عقلها وسمعها وبصرها أن يذهبوا، فعلوا بها ذلك ثلاثة أيام وهى ترفع عقيرتها الى السماء وتقول: أحد.. أحد.. وبينما هى كذلك اذ وجدت بر دلو على صدرها.. فمدت يدها فى لهفة وشربت منه فاذا هو معلق بين السماء والارض فأخذت تشرب ويرتفع، وتشرب ثانية ويرتفع، وتشرب ثالثة ويرتفع حتى رويت وأهرقت على رأسها ووجهها وثيابها ماء.

ولما خرج القوم وجدوا آثار الماء على وجهها وثيابها فسألوها: من أين لك هذا ياعدوة الله؟

فقالت: إن عدوة الله غيرى، من خالف دينه، وأما قولكم من هذا؟ فمن عند الله رزقا رزقنيه الله..

فقالوا مستهزئين: ما علمنا أن الله يرزق أحداً..

فقالت: ألم يرزق مريم بنت عمران من قبل؟ «كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا، قال يا مريم أنى لك هذا، قالت هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب»[1]

فقالوا: دعوها فقد نالت منها الشيء وصارت تخرف..

وانطلقوا سراعاً إلى قراتهم فوجدوها موكأة - أى مربوطة محكمة - لم تحل، فنظر بعضهم إلى بعض فى عجب، ثم قالوا: نشهد أن ربك هو ربنا وأن الذى رزقك فى هذا الموضع بعد أن فعلنا بك ما فعلنا هو الذى شرع الاسلام.

---

(١) ٣٧: ال عمـــــران.

وشـرح الله صدورهـم للاسـلام فهاجـروا جميعا إلى مدينة رسـول الله صلى الله عليه وسلم.

وأقبلت أم شريك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدت زوجها أبا العسكر الدوسى قد مات، فتزوجت أبا بكر بن أبى سلمى.

وطلق أبو بكر بن أبى سلمى أم شريك وكانت جميلة وقد أسنت فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت: يانبى الله إنى أهب نفسى لك وأتصدق بها عليك، فقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليها فقالت عائشة بنت أبى بكر: ما فى امرأة تهب نفسها لرجل خير..

فلما شمت غزية بنت جابر رائحة الغيرة فى كلمات عائشة قالت لها: فأنا تلك فأنزل الله عز وجل فى أم شريك قوله «وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى إن أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين»(١)

فلما نزلت هذه الآية قالت أم المؤمنين عائشة: إن الله ليسرع لك فى هواك، فكانت أم شريك تقول: أنا الذى سماها الله عز وجل مؤمنة.

فلم يدخل بأم شريك..

وقيل: انها من أزواجه اللاتى لم يدخل بهن مثل: الكلابية وأسماء بنت النعمان وقتيلة بنت قيس وخولة بنت الهذيل وليلى بنت الخطيم وعمرة بنت معاوية الكندية.

وكان لأم شريك عكة ـ اناء يوضع فيه السمن ـ تعيرها من أتاها فاقترضه رجل فقال: ما فيها رب..

فنخفتها وعلقتها فى الشمس فإذا هى مملوءة سمناً..

فكان يقال: ومن آيات الله عكة أم شريك.

* * *

---

(١) ٥٠: الأحـــزاب.

جميلة بنت سعد

أوفد رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير الى يثرب ليدعو لدين الله، وممن استمعوا اليه مسعد بن الربيع الانصارى الذى شهد مجلس مصعب مراراً يستمع اليه ثم يعود الى بيته يفكر فى آلاء الله وأياته.. وشرح الله صدره للاسلام وكذا ابنته جميلة بنت سعد.

ودار الزمان دورته وأراد المشركون أن يثأروا ليوم بدر، ونادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل العقبة فانطلق سعد بن الربيع مقاتلا فانهالت عليه الرماح ولكنه ظل يقاتل حتى سقط، وفيه بعض الرمق، ولما انتهت المعركة ورحلت قريش، قال النبى صلى الله عليه وسلم «ما من رجل ينظر ما فعل سعد بن الربيع؟ أفى الاحياء هو أم فى الأموات؟

فقال رجل من الانصار: إنى أنظر يارسول الله ما فعل سعد؟

وخرج الصحابى يبحث عنه بين الاشلاء والدماء والجثث المبعثرة حتى وجده، فقال له: ان رسول الله سأل أن انظر أفى الاحياء أنت أم فى الأموات.. فقال سعد بن الربيع: أنا فى الأموات وابلغه كلاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما كاد تيه حتى فاضت روحه الى بارئها.. ولما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحمه الله فقد نصح الله ولرسوله حيا وميتا، اللهم ارضى عن سعد بن الربيع، وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق بجميلة بنت سعد بن الربيع يرعاها، فدخل رجل من الاعراب على أبى بكر فى داره فرأى جميلة بنت سعد، فسأل من هذه؟

فقال: أبو بكر الصديق رضى الله عنه، هذه بنت رجل خير منى إنها بنت سعد بن الربيع كان من النقباء يوم العقبة وشهد بدراً واستشهد يوم أحد.

وتزوج زيد بن ثابت جميلة بنت سعد بن الربيع، ودخل ثابت بن عبيد بيت جميلة فقدمت اليه رطباً وتمراً..

فقال ثابت بن عبيد: أرى هذا ورثته من أبيك؟

فقالت جميلة بنت سعد: وما ورثت من أبى شيئا قتل أبى قبل أن تنزل الفرائض.

* * *

جميل بنت يسـار

خطب أبو البداح جميل بنت يسار، وبعثت جميل إلى عائشة تستعير منها ثوب زفاف، كان هذا الثوب عند عائشة تطلبه فتيات المدينة اذا تزوجن. وزفت جميل بنت يسار الى أبى البداح، وفى تلك الليلة تزوج رجل بامرأة فسقط شعرها، فسأل معقل بن يسار - أخوها - رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصل فلعن النبى صلى الله عليه وسلم الواصلة والمستوصلة.

ودار الزمان وطلق أبو البداح جميل بنت يسار طلاقاً رجعياً حتى انقضت عدتها.. ثم جاء فخطبها مع الخطاب محى معقل بن يسار من ذلك انفا وقال له: منعتها الناس وزوجتك إياه طلقتها طلاقا له رجعة ثم تركتها حتى انقضت عدتها فلما خطبت إلى أتيتنى مع الخطاب؟

فقال ابو البداح: يابن عم اننى..

فقاطعه معقل بن يسار: لا، والله يا لكع بن لكع أكرمتك بها وزوجتها فطلقتها والله لاترجع اليك أبداً..

فخرج أبو البداح حزينا تلدغه عقارب الندم، فقال معقل بن يسار لأخته، خلى عنك وهو يقدر ثم يخطبك؟ لا.. وجيه من وجهك حرام إذا تزوجتيه.

ثم قال معقل لأخته: أذكرك بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا نكاح إلا بولى مرشد وشاهدى عدل، لاتزوج المرأة المرأة ولاتزوج المرأة نفسها فإن الزانية هى التى تزوج نفسها».

فبكت جميل بنت يسار فأدرك معقل بن يسار رغبة أخته فى العودة إلى أبى البداح ولكنه أخذ يثرثر ويزيد فى كلامه غاضبا من فعلة أبى البداح بتطليقه لأخته.

ورأى عبد الله بن عمرو بن العاص أبا البداح حزيناً كئيباً فسأله: ما بك يا أبا البداح؟..فأخبره بما حدث مع معقل بن يسار، فقال: اذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.. فتعجب أبو البداح، رسول الله، كيف غاب عنى ذلك؟

وانطلق أبو البداح إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم معقل بن يسار، فلما جاء قال: إن كنت مؤمنا فلا تمنع أختك من أبى البداح.

فقال معقل بن يسار: آمنت بالله..

ونزل قوله تعالى «وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون»[1]

لقد تدخل القرآن الكريم ليضع حلا لهذه المسألة المعضلة، وهو حل عادل كريم من فوق سبع سماوات.

وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية على معقل بن يسار، فترك معقل الحمية، وافقا ولأمر الله تعالى، وكفر عن يمينه وزوج أخته جميل بن يسار من أبى البداح.

* * *

خولة بنت عاصم

أسلمت خولة وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهى زوج الصحابى الجليل

---

(١) البقرة: ٢٣٢

هلال بن أمية الانصارى، شهد هلال بدراً وما بعدها.

ولما كان المسلمون فى عسرة من المال وضيق من العيش ولفح شديد من الحر ولكنهم كانوا يعقدون آمالهم بيوم قريب يجمعون فيه التمر ويحصدون الزرع اذا بخاتم الأنبياء والمرسلين صلى اللهعليهوسلم يدعوهم للجهاد:

«انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله»[١]

ومن استطاع منكم الانفاق عن سعة وفضل فلينفق ومن استطاع أن يحمل غيره فليحمل واعلموا أن وجهتنا غزو الروم فلا يتخلف احد منكم ما استطاع إلى الجهاد سبيلا..

فأقبل المسلمون بعضهم على بعض يتساءلون:

ما بال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم يدعونا للجهاد فى وقت الحر ولفح الهاجرة ويعلن الجهة التى يقصدها - غزو الروم - قبل أن نجنى الثمار ونحصد الزرع؟ لقد قرر غزو بنى الاصفر وكان العهد به يخفى ولا يصرح ويكنى ولايفصح؟

فقال بعضهم:

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهيأ لصد بنى الأصفر الذين اعدوا جموعهم وحشدوا جيوشهم لغزو مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلام المسلمين ليتهيئوا لسفر بعيد وشقة طويلة.

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك وتخلف المنافقون والمرجفون والنساء وهلال ابن أمية ومرارة بن ربيعة وكعب بن مالك.

وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك فذهب إلى مسجده كعادته يصلى ركعتين ثم يستقبل الناس.

---

(١) ٤١: التوبة.

وجاءه قوم مخلفون أخذوا يبسطون له المعاذير وينتحلون الاسباب ويقسمون بالله جهد ايمانهم فقبل خاتم الانبياء صلى الله عليه وسلم على علانيتهم وبايعهم، ووكل إلى العليم الخبير سرائرهم، ثم أقبل كعب بن مالك فتبسم إليه نبى الرحمة صلى الله عليه وسلم، تبسم المغضب ثم سأله: ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك ـ بعيرك ـ؟ قال كعب بن مالك: بلى يارسول الله: والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر ولقد اعطيت جدلا ولكنى والله لقد علمت انى لئن حدثتك حديث صدق تجد ـ غضب ـ على فى انى لارجو عفو الله.. والله ما كان لى عذر، والله ما كنت اقوى ولا ايسر منى حين تخلفت عنك.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«اما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضى الله فيك»

وجاء مرارة بن ربيعة وجاء هلال ابن أمية فتحدثا بمثل ما تحدث به كعب بن مالك فتركهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لقضاء الله وقدره.

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامهم أو الاختلاط بهم حتى يفصل الله فى أمرهم يعذبهم ان شاء أو يتوب عليهم، فمرت عليهم أيام تقسمتهم فيها الهموم والأحزان ولقوا الثلاثة من جفوة رسول الله صلى الله عليه وسلم جهداً وبلاء ومن عزلة أصحابه عنتا وعناء.

واستكان هلال بن أمية الى بيته يبكى وينتحب، وانقضت أربعون يوماً لم يتلق النبى صلى الله عليه وسلم فيهم شيئاً من الوحى ولم يسطتع ان يفصل من أمرهم بشىء فأرسل إليهم: اعتزلوا أهلكم حتى يقضى الله بالأمر فيكم.

فذهبت خولة بنت عاصم الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت: يارسول الله إن هلال شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن تخدمه؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لا ولكن لا يقربنك..

فقالت خولة بنت عاصم وهى تهز رأسها وتقلب كفيها: إنه والله ما به من حركة الى شيء، وانه لازال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى اليوم..

وظل الثلاثة أمرهم معلقا وحديث الصحابة معهم محظورا.

حتى انقضت عليهم خمسون ليلة وما صلى بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح حتى أطرق برأسه وغاب بروحه عمن حوله ثم أقبل على أصحابه متهلل الوجه منشرح الصدر، واعلن فيهم ان الله قبل توبة كعب ومرارة وهلال فانطلقوا إليهم مهنئين وجاء هلال صوت صارخ: أبشر يا هلال..

فخر هلال ساجداً لقد عرف ان جاء الفرج، وجاءه البشير، فقال: يا هلال بن أمية أبشر لقد تاب الله عليك وعلى كعب وعلى مرارة.

فانطلق هلال إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيه الناس يبشرونه ويهنئونه بالتوبة ويقولون: لتهنئك توبة الله عليك..

وسلم هلال على رسول الله صلى الله عليه وسلم:

يانبى الله أمن عند الله يا رسول الله أم من عندك؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا بل من عند الله..

فقال هلال بن أمية:

«الحمد لله الذى برأنى من فوق سبع سماوات»

ولما رجع هلال إلى بيته لم ير الفرحة تكسو وجه زوجه خولة وتعجب لذلك ولكنه لزم الصمت وبينما الصحابة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عليهم النبى صلى الله عليه وسلم واخبروهم ان الله عز وجل قد أنزل:

«والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولاتقبلوا لهم شهادة ابداً»[١]

---

(١) ٤: النـــــور.

وكان سعد بن عبادة سيد الانصار حاضرا فتساءل:

أهكذا انزلت يارسول؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يامعشر الأنصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم؟»

فقالـوا:

يارسول الله لا تلمه فانه رجل غيور والله ما تزوج امرأة قط إلا بكراً، وما طلق قط فاجترأ رجل منا أن يتزوجها من شدة غيرته.

فقال سعد بن عبادة:

والله يارسول الله انى لأعلم انها لحق وانها من الله ولكنى قد تعجبت أنى لو وجدت لكاعا قد تفخذها رجل لم يكن لى أن أهيجه ولا أحركه حتى أتى بأربعة شهداء، فوالله انى لا آتى بهم حتى يقضى حاجته..

ولم يلبث الحاضرون إلا قليلا حتى جاء هلال بن أمية فقال:

يارسول الله جئت من أرضى عشاء على أهلى فوجدت عندها شريك بن سحماء، فرأيت بعينى وسمعت بأذنى.

فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به هلال واشتد عليه وقال:

اتق الله فى زوجتك فلا تقذفها بالبهتان.

فقال هلال بن أمية: وجدته على بطنها وانى ما قربتها منذ أربعة أشهر.

فقال الانصار: قد اقبلنا بما قال سعد بن عبادة إلا أنه يضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم هلال بن أمية ويبطل شهادته فى الناس..

فقال هـلال بن أميـة:

يا رسول الله اقسم بالله إنى رأيت شريك ابن سحماء على بطنها وانى ما قربتها منذ أربعة أشهر.

يا رسول الله أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا ان تكلم جلدتموه وان قتله قتلتموه

أو سكت على غيظ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: البينة أو حد فى ظهرك

فقال هلال بن أمية: يانبى الله فانى قد أرى ما اشتد عليك مما جئت به والله يعلم انى لصادق.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: البينة أو حد ظهرك.

فقال هلال بن أمية: يارسول الله اذا رأى أحدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة؟

فقال النبى صلى الله عليه وسلم: البينة أو حد ظهرك.

فأسلم هلال بن أمية أمره الى الله وقال فى استسلام:

والذى بعثك بالحق انى لصادق ولينزلن الله ما يبرىء ظهرى من الحد..

وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأمر بضرب هلال بن أمية، ولكن الوحى نزل عليه وكان إذا نزل عليه الوحى عرف اصحابه ذلك فأمسكوا عنه حتى فرغ من الوحى، فنزل قول الله تعالى:

«والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، ويدرؤا عنها العذاب أن تشهد اربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين، والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين»(١)

ولما سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أبشر يا هلال فقد جعل الله لك فرجاً ومخرجاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلوا اليها، فأرسلوا الى خولة فجاءت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا انفسهم فشهادة أحدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين، والخامسة ان

(١) ٦ـ٩ : النـــــور.

لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين، ويدروا عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين، والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين، ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب رحيم».

وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم هلال بن أمية وخولة وأخبرهما أن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا فقال هلال بن أمية، والله يارسول الله لقد صدقت عليها.

وتمت الملاعنة بينهما أمام النبى صلى الله عليه وسلم وعندما جاءت عند الخامسة قيل لها: اتق الله فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، وان هذه الموجبة التى توجب عليك العذاب ان الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تائب؟

فتلكأت ونكصت وتفصد العرق منها وزاغت عيناها حتى ظن أنها ترجع وهمت بالاعتراف ثم قالت: والله لا أفضح قومى.. هل فضيحة الدنيا أهون من فضيحة يوم القيامة على رؤوس الأشهاد؟

فقالت وهى تكاد تنهار: إن غضب الله على خولة ان كان من الصادقين.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما والله لاقضين بينكما قضاء فصلاً.

وفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين هلال وخولة وقضى أن لايدعى ولدها الاب ولايرمى ولدها ومن رماها أو رمى ولدها فعليه الحد، وقضى أن لابيت لها ولاقوت لها من أجل أنهما يفترقان من غير طلاق ولامتوفى عنها.

وقال صلى الله عليه وسلم ان جاءت به - المولود - اصيهب اريشح حمش الساقين فهو لهلال وإن جاءت به أورق جعدا جمالياً خلدج الساقين سابغ الإليتين فهو الذى رمت به - فهو لشريك ابن سحماء.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ابعدوها.

ووضعت خولة بنت قيس غلاماً اورق جعداً جمالياً خدلج الساقين سابغ الاليتين..إنه يكون لشريك.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لولا الإيمان، لكان لى ولها شأن» أى لولا مسبق من كتاب الله تعالى.

* * *

ولانستطيع ان نذكرها فى غير الصالحات، فقد ذكرنا أن العبرة بالخواتيم وقد شهدت على نفسها، أى تابت وأعلنت ذلك.

ومعلوم أمر الذى قتل مائة نفس، وذهب إلى الله تائباً فكان من أهل الجنة..

نسأل الله رب العالمين أن نكون من أهل الجنان..

* * *

صفورا بنت شعيب
«زوجة موسى»

خرج موسى بن عمران عليه السلام من مدينة منف فاراً بنفسه من الجبارين الذين أرادوا قتله بعدما قتل وخر الذى من عدوه فقضى عليه.

ووجه فرعون رجاله فى طلب موسى وقال لهم: اطلبوه فى ثنيات الطريق فان موسى لايعرف الطريق؟

فبعث الله ملكاً راكباً فرساً ومعه عنزة، وهى اطول من العصا واقصر من الرمح، فقال لموسى: اتبعنى.

فهداه إلى الطريق، وتوجه موسى إلى مدين فوجد حشداً من الناس قد تزاحموا على مورد ماء كل منهم يعتمد على قواه العضلية والبدنية فى التقدم والمسابقة إلى البئر ورأى من دونهم امرأتين تفصلان اغنامهما حتى لاتختلط بأغنام الناس فى ضعف وذلة حتى ينصرف الجمع.

تقدم لهما وقال: ما شأنكما؟

قالتا: «لانسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير»[1]

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: لما يستقى الرعاة غطوا على البئر صخرة لايقلعها إلا عشرة رجال فجاء موسى فاقتلعها واستقى ذنوبا واحداً لم يحتج الى غيره فسقى لهما.

وكان الحر شديدا فأوى إلى الظل الممدود وقال «رب انى لما انزلت إلى من خير فقير» عادت صفورا وأختها وليا إلى ابيهما شعيب النبى عليه السلام فحكتا له أمر هذا الرجل الذى سقى لهما.

لم يكد موسى عليه السلام أن ينتهى من مناجاة الركن الركين والظل الظليل والاتصال العميق حتى استجابت السماء للقلب الضارع الغريب، فجاءت صفورا تمشى على استحياء مشية الفتاة الطاهرة الفاضلة العفيفة وقالت «إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا»

وسار موسى خلف صفورا، فهبت ريح فأخذت تبعث بثوبها فأشاح موسى ببصره وقال: كونى ورائى فانى رجل عبرانى لا أنظر إلى أدبار النساء.

قالت صفورا: انت لا تعرف الطريق.

قال موسى: ولينى عليه يميناً او يساراً.

وصل موسى إلى شعيب أو إلى يثرون - ابن اخى شعيب - عليه السلام كما ذكر المؤرخون بأنه كان بين موسى وشعيب زمن طويل.

«أنس موسى واطمأن إلى الشيخ الصالح فقص عليه قصصه وافضى إليه بمكنون سره، فطمأنه وقال له: «لاتخف نجوت من القوم الظالمين»[2]

قالت صفورا: «يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين»[3]

---

(١) ٢٣: القصص. (٢) ٢٥: القصص.

(٣) ٢٦: القصص.

عرفت قوته من حمله لغطاء البئر بمفرده.

وعرفت أمانته من سيره أمامها ورفض ان يسير خلفها حتى لايرى منها شيئاً.

ومال الأب إلى اقتراح ابنته وقال «إنى أريد أن انكحك إحدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج فإن أتممت عشراً فمن عندك وما أريد أن اشق عليك ستجدنى إن شاء الله من الصالحين»[1]

لم يخجل الرجل الصالح فى عرض زواج إحدى ابنتيه من رجل صالح تأكد هو من ذلك، اختار الدين والخلق اللذان لايقدران بأموال الدنيا ولابكنوزها ثم قال: «ذلك بينى وبينك أيما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله علي ما نقول وكيل»[٤]

سأل ابو ذر الغفارى رسول الله صلى الله عليه وسلم: أى الاجلين قضى موسى؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيرهما وأوفاهما وان سئلت أى المرأتين تزوج فهى الصغرى ـ صفورا ـ وهى التى جاءت خلفه وهى التى قالت «يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين».

وطاب المقام لموسى فى مدين واخضر فى حياته عود الأمل، فأتم أقصى الأجلين يكلأ أمور الرجل الصالح ويدبر شؤونه عشر سنين، كان فيها مثال الأمانة والإخلاص.

وتحركت فى صدر موسى نشوة الحنين إلى الوطن ونزعت نفسه الى مصر، فجمع متاعه وهيأ رحله واستعد مع زوجه صفورا للرحيل.

ودع صالح مدين صالح بنى اسرائيل وداعاً حاراً لموسى وابنته صفورا بالتوفيق والسداد وسار موسى بأهله نحو الجنوب حتى طور سيناء.

كان الجو بارداً والليل حالك السواد فضل موسى الطريق وحار فى أمره، والتوى عليه قصده.. وسار غير بعيد فلاحظته عناية الله.

---

(١) ٢٧: القصص
(٢) ٢٨: القصص

لقد أبصر من الجهة التى تلى الطور ناراً لماذا لم يحط رحله ويترك أهله ويسرع نحو هذه النار؟

قال موسى لزوجه «امكثوا إنى آنست ناراً لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى»[1]

مكثت صفورا كما أمرها موسى فهى فى أشد الحاجة إلى النار حتى تدفئها فى هذا الجو البارد كما أنها فى حاجة إليها حتى تستعين بها على أمرها فهى على وشك أن تضع مولوداً.

ومضى صالح بنى اسرائيل إلى اتجاه النار ﴿فلما أتاها نودى﴾من شاطىء الواد الأمين فى البقعة المباركة من الشجرة

كان موسى على موعد من تكليفه بالرسالة رسالة الحق إلى فرعون وقومه، وكانت بداية مرحلة جديدة فى حياة صفورا بنت شعيب مع زوجها موسى عليه السلام.

* * *

---

(١) طـــه: ١٠.

الفصل السابع

غير الصالحات

ريطــة الحمقــاء

فى بيوت بنى مخزوم نشأت ريطة تتطلع إلى يوم زواجها.. وكان أبوها يطمئنها ويجدد الأمل عندها بأنه سوف يمضى إلى هبل ويدفع اليه بكثير من الدراهم ويلطخ قدميه بدماء كبش سمين حتى يرضى عن ابنته ويرسل إليها من يتزوجها.

وتمر الأيام ولم يأت أحد فى الزواج من ريطة، وتتساءل لماذا؟ أدميمة أنا؟ والدمع ينهمر من عينيها.. وجاءت إليها أمها لتبعث فيها الأمل من جديد، ولتمسح الدمع عن وجهها بعد أن أخبرتها عرافة لقيتها بالكعبة ودست فى يدها بقطعة من الذهب فنظرت الى الهلال وقالت: سوف يتم الزواج حين يصير هذا بدراً..

لقد أشرق وجه ريطة من الفرح وأخذت تدور فى غرفتها مسرورة كأنها ملكت الدنيا بحذافيرها.. وأخذت تشكر الآلهة، وتسمع أبوها عمرو كلاهما فيسأل أمها عما حدث، فتخبره بخبر زواج ابنته عن قريب.

وتلمع عينا عمرو بغضب أربدت معه ملامح وجهه كلها، لتحمل كلماته وقع المفاجأة التى روعته:

كيف! كيف تزف ريطة بعد أيام دون أن تخطب منى، وتجيبه الأم: لا عليك ياعمرو، ومع تلك العبارة إذا به يلكزها لكزة طوحت بها أى وسط الغرفة، لتنزل المفاجأة نزول الصاعقة على نفس ريطة التى تسرع صائحة: أماه، وتجيب الأم: أخطأك الصواب

ياعمرو فى فهمى.. ويزداد غضب الأب.. بل لقد فهمت ما تريمن اليه، تريدين أن تشترى زوجاً لابنتى دون مشورتى.

وتقع تلك العبارة على قلب ريطة كسكين تقطع أحشاءها وتدخل الى سويداء قلبها لتنتزع منه الحياة، وتقول الأم: ياعمرو: ما أخبرتك به هو ما أخبرتنى به عرافة الطائف، ويسترد عمرو أنفاسه ليسرع نحو ابنته التى فتك بها ونهرها محاولاً اصلاح ما بدر منه

ويأتى الليل وتنام ريطة ليلة كئيبة كلها أحزان وشجون وآمال ومخاوف هل يتحقق كلام العرافة، إنها بضعة ليال باقية على دوران الهلال الى بدر.. هل سأتزوج؟

ويكتمل البدر ولم يأت طارق على بابها، وتأت أمها لتقول: لم تكذب العرافة ياابنتى؟ وتسأل ريطة: واذا كانت كذلك فلم لم يأت من يتزوجنى ياأمى.. وتمسك الأم برأس ابنتها وتقول لها: سوف تتزوجين.

وذات يوم، دق باب ريطة، ويفتح الباب، واذا بأخت لأم ريطة لم ترها منذ أعوام، عاشت فى ديار بنى تميم، والى جوارها شاب يناهز العشرين، اسمه: صخر، ورنت العبارة التى تحمل اسم صخر فى أذنى ريطة فهبت مسرعة من تكاسلها، لترى أى صخر هذا الذى قدم دارها، إنه صخر ابن خالتها، وتتساءل ريطة: هل يعقل أن يتزوجها ذلك الشاب الصغير الوسيم الذى يصغرها؟!

نعم.. لقد جاءت الخالة وابنها لخطبة ريطة، وحدد الزواج بعد شهر.. وعادت الأم وابنها الى بنى تميم وهى تربط من جأش ابنها وتقول له: أجل إنها دميمة، لكن مالها وفير، وسوف يفتح لك الطريق الى الثراء..

وماتت أم ريطة قبل عودة صخر للزواج من ريطة وظلت ريطة بين حزن وقلق.. أيعود ابن خالتها أم لا؟..

ولم تطل الأيام حتى عادت الخالة ومعها صخر لاتمام الزواج بعد أن سعد صخر بموت أمها فالمراد هو المال وموت خالته يحقق له هذا وييسره.

ودار الزمان ولم تصدق ريطة أنها أصبحت زوجة، لقد أقام صخر وزوجه بمكة ورحلت الخالة الى بنى تميم، واذا بريطة تسرع إلى الأصنام تقدم لها القرابين والذبائح، وحينما عادت وجدت صخراً وقد عكت وجهه الكآبة والحزن، فأسرعت بسؤاله، ماهذا؟ فأجاب: لقد بدأت أحس بالملل، وبعد حديث أخبرها أنه يريد أن يمضى إلى بلاد الشام للتجارة، وسألته ريطة: وماذا يدفعك لذلك وقد ترك لى أبى المال الوفير نعيش به؟

فيجيب صخر: لا أريد أن أكون عالة على أحد.. وتجيبه ولكنك زوجي ومالى هو مالك.. وأجابها صخر: إذن اعطينى مالاً أجهز به قافلة للشام، ونظرت إليه ريطة معاتبة، وتتركنى ياصخر، فأجابها: أتركك شهراً أو شهرين لأعود إلى جوارك بقية حياتى، فسألت: ومتى الرحيل؟ فقال: بعد أيام.

ومرت شهور ولم يعد صخر من تجارته، وبدأ القلق يخيم على حياة ريطة، فسألت أهل السفر عن زوجها، فأجابوها بأنه لم يسافر فى أى قافلة، فتساءلت: أقتل؟؟ لا.. لا.. وأخيراً قررت الرحيل إلى بنى تميم لتعرف ماذا حدث لصخر، وفجعت حين قابلها صخر باستهتار بالغ ليخبرها أن المال سرق منه، وسألته: ولِمَ لمْ تعد لتخبرنى؟ فأجابها باستهتار أكثر: ولِمَ أخبرك؟ أنت لم تعودى زوجة لى، فكيف لى أن أدفن شبابى مع عجوز مثلك، لم تشعر ريطة كيف مادت بها الأرض..

لقد أظلمت الدنيا أمام عينيها، وبعد أن فاقت من اغمائها سألت عن صخر، فأجابها شيخ بنى تميم، إنه مع الصعاليك من أضرابه الذين نبذهم قومهم لسوء ما فعلوا..

وعادت ريطة الى مكة تجر أحزانها.. أغلقت عليها باباً لتبكى أياماً وليالى حتى جفت الدموع فى المآقى، وامتنعت عن الطعام والشراب حتى شارفت على الموت، ولكن وجدت فى النهاية أن يدها تمتد على كسرة خبزٍ جافة لتأكلها، كانت الرغبة فى الحياة لديها أقوى من الموت، ولكن أى حياة تلك التى كانت تحياها ريطة، الوحدة والعزلة والأمل المنكسر.

مـدت يدهـا ذات يوم على مـغـزل كـانت أمـهـا تـغـزل به الصـوف، وأخـذت تدير بأصبعيها لتغزل به قطعة من صوف، وتحولت قطعة الصوف المنقوش الى خيط، وأخذت بأخرى ثم غزلتها، وثالثة ورابعة ولم تشعر إلاَّ والليل يرخى سدوله، فقامت متثاقلة الى السراج وأشعلته، وبدد بنوره الخافت الظلمة، وتسمرت عينا ريطة على الصوف الذى غزلته، وتساءلت: لمن تغزل؟ أهى فى حاجة إلى مال؟ لقد سرق صخر كثيراً منه، ولكن مازال لديها الكثير.

أتغزله لتنسج ثوباً.. لمن يكون هذا الثوب؟ لها حتى تتجمل به، ولكن لمن تتجمل؟ لزوجها حتى تهديه إياه، لقد كان الزوج محتالاً خادعاً لوالديها؟.. وهى لم تنجب.. إذن لمن..؟

كانت تلك الأسئلة كأنها ومض رعد يرن فى أذنيها، وبحركة لا إرادية امتدت يداها إلى خيوط الغزل الذى غزلته طوال يومها ومزقته إرباً إرباً، ثم استلقت على فراشها، ولم تشعر بنفسها إلا فى صبيحة اليوم التالى.. وعند الصباح شعرت برغبة جارفة فى أن تغزل، وامتدت يدها إلى المغزل، وأخذت تغزل الصوف حتى إذا فرغت من ذلك أخذت تنظر إلى الخيوط التى غزلتها، وامتدت اليها يداها تمزقها فى جنون، وأخذتها إطراقة ساهمة رفعت رأسها منها لتخرج مسرعة من المنزل، ومعها كيس من المال لتشترى كمية كبيرة من الصوف، ولكن أية طاقة لها على نزلها، واذا بها تسرع الى فتيات حيها تطلب منهن مساعدتها فى الغزل، ولكل واحدة درهم، وكل صباح تأتى الفتيات إلى ريطة وتجلس وسطهم وفى يد كل واحدة مغزل، ويأخذن فى الغزل حتى إذا فرغن قبل الغروب دفعت اليهن أجرهن وأخذت الغزل تنقضه وتمزقه فى جنون، لقد تصورت أن الدنيا حطمت حياتها ولابد أن تحطم كل شىء..

لذا.. فقد حذر الله المؤمنين أن يكونوا أمثال ريطة الحمقاء.. وألا يبطلوا أعمالهم ويبددوا طاقاتهم وجهدهم، وأن يستعينوا بالله عند المصيبة ويرجعوا اليه ويحتسبوا ذلك عند الله ولا يقنطوا من رحمة الله.. قال الله تعالى:

«ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا»[1]

* * *

أم جميل الحاقدة

أبولهب هو عبدالعزى بن شيخ قريش المهيب عبدالمطلب، وأخ لسادة لهم قدرهم بين الناس، لعبدالله وأبى طالب والعباس.. لكنه لم يكن على شاكلة اخوته فيما كانوا يتصفون به من المروءة والنجدة، لكنه كان أكولاً طامعاً فى كل شىء، حتى أنه تطاول وسرق ذهب الكعبة..

وكان له زوجه لا تقل عنه أنانية على صوت يهتف: ياصباحاه، فتساءلت لمن هذا الصوت الذى يدعو الناس فى الصباح الباكر حتى يتجمعوا اليه، وتوجهت إلى زوجها الذى أثقلته الخمر ولم يقو على النهوض من الفراش.. ما هذا .. فأجابها على الفور، قبحت من امرأة ما شأنى بمن يصيح فى هذه الساعة من الصباح، وأخذت تكرر السؤال على مسامعه، وهو يقبحها ويسبها ولكن يعلم الحاحها فاستمع اليه وقال:

انه صوت محمد ابن أخى، وكان أبولهب قد تزوج ابناه من ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهب أبولهب ليسمع هذه الدعوى، فإذا بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد أن أنزل الله عليه قوله تعالى: «وأنذر عشيرتك الأقربين»[2] وأمره أن يبلغ الناس بالرسالة بعد أن كانت سراً.. إذا به ينادى على الناس: يابنى فلان.. يابنى فلان، يابنى عبدمناف، يابنى عبدالمطلب، فاجتمعوا اليه وعبدالعزى يرى قومه يسرعون من كل ناحية يحيطون بالصفا حيث وقف محمد يقول: «أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقى:» قالوا: ما جربنا عليك كذباً قط، فقال: «فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد».

شعر أبولهب بخيبة أمل، فلم يجمعهم ابن أخيه محمد صلى الله عليه وسلم من

---

(١) ٩٢ : النحل. (٢) ٢١٤ : الشعراء.

أجل مال سوف يعود عليهم أو غيره.. وثار قلبه بأحقاده فاذا بن يصيح.. تباً لك سائر اليوم أما جمعتنا إلا لهذا..

وعاد أبولهب ليجد أم جميل فسأله عما حدث فأجابها إنه يدعونا الى اتباعه، فأجابته متى نكون نحن تبعاً له، إن كان هذا أمر يدعو اليه فأنت أحق به منه.

أخذا الزوجان الحاقدان يتبادلان أطراف الحديث، وبعدها قال لها أبو لهب: حقاً يا أم جميل سوف تكون السيادة والغنى والشرف لمحمد دوننا بهذا الأمر الذى يدعو اليه لم أكن ألقى بالاً لما يقوله سادة قريش وزعماؤها عن خطورة ما يدعو اليه، أما الآن فقد أدركت الخطر الداهم الذى يكمن ما يدعو اليه محمد، لن تأتى وفود العرب لتقدم القرابين للآلهة، فهو يريد إزالتها، لن نستفيد إن تحقق ما يدعو اليه محمد من وراء قدوم الناس من كل مكان الى مكة، أليس كذلك يا أم جميل؟!

سمعت أم جميل ما قاله عبدالعزى وكأنها النار التى تنطلى بها، فهبت من جلستها لتقول: ويل لك منى يامحمد.. وبادرها عبدالعزى بقوله: وماذا سوف نفعل.. فأجابته.. سوف أقول لك ماذا سوف ينتهى من أمر محمد.

أخبرت أم جميل أبا لهب بأن محمداً قد وصل إلى ذى المجاز يدعو الناس، سمع ذلك أبولهب فهب مسرعاً وهو يقول: لن أدعه ينفرد بالناس، سوف أحول بين الناس وبينه سوف أعلم لهم أنه كاذب كاذب.

ما كان عبدالعزى يعمل الى ذى المجاز حتى وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أحاط به الناس، وقد أرهفوا السمع له وهو يقول: «ياأيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» واذا بحصى يصيب قدمى رسول الله، ونظر الناس من الذى يرمى بذلك الحصى، فاذا به عمه وهو يقول: ياأيها الناس لا تصدقوا محمداً إنه كذاب.

عاد عبدالعزى الى بيته، فوجد أم جميل فى انتظاره على أحر من الجمر، فسألته ماذا فعلت؟ فقال لها متفاخراً: لقد صرفت الناس عنه وأخبرها، فقالت له: قبحتك الآلهة،

لو كنت مكانك لما فارقته.

جلست أم جميل تفكر ماذا تستطيع أن تسهم به فى التصدى لمحمد! لقد كانت بخيلة تجمع الحطب بنفسها حتى لا تنفق درهماً واحداً فى ذلك، فلم لا تجمع الشوك وتضعه أمام بيت محمد حتي يدمى قدميه، وفى كل طريق يسير فيه حتى يؤذيه.

وبدأت أم جميل ذلك الأمر، كانت تجد السعادة كلما وضعت الأشواك لتؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهى نفس السعادة التى كان يحسها زوجها كلما آذى محمداً ابن أخيه.

وذات يوم روعت أم جميل على مانزل من القرآن فى شأنها وشأن زوجها:

«تبت يدا أبى لهب وتب، ماأغنى عنه ماله وما كسب، سيصلى ناراً ذات لهب، وامرأته حمالة الحطب، فى جيدها حبل من مسد»(1)

جن جنونها، وثارت ثائرتها، ومضت الى الكعبة حيث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى تقول: لأهجونه:

محمداًمكينــاً .'. ودينـه أبينـــا

وأمــره عصينــا

وأخذت حجراً فى يدها لتؤذى رسول الله، وأخذ الله بصرها، فلم تر رسول الله ورأت أبابكر وعمر فقالت لأبى بكر: أين صاحبك؟ فقال لها: وما تصنعين به؟ قالت: بلغنى أنه هجانى، والله لو وجدته لضربته بهذا، فقال لها عمر ويحك ويحك إنه ليس بشاعر..

مضت أم جميل الى أبنيها وبثت سموم حقدها فى قلبيهما ليطلق ابنتا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستجاب لها عتبة بعد طول الحاح وكان أقساهما فقد مضى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له: طلقت ابنتك وناوأت دينك، ومضى فى سفاهته

---

(1) ســورة المســد .

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا عليه النبى صلى الله عليه وسلم قائلاً: اللهم سلط عليه كلباً من كلابك، فافترسه أسد فى رحلة له بالشام..

ومضت أم جميل تحمل الأشواك كل يوم لتضعها أمام بيت رسول الله وفى طريقه، ولم يكن يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم أى أذى.

صحت يوماً من نومها وأحست بانهاك يمنعها من الخروج ولكن كيف تقعد ولم تضع الأشواك حول بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحاملت على نفسها، وأخذت فى جمع الشوك، وكلما انحنت أحست بالانهاك، فتجلس على جانب الطريق. وازداد الاعياء حتى انكفأت فى سكرة الموت على الطريق وهى تقاوم الحياة ولم تهدأ أحقادها على الاسلام ونبى الاسلام..

* * *

امرأة نوح

ذهبت امرأة نوح الى معبد الشمس الكبير، ووقفت أمام الأصنام: ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، تدعو وتبتهل وتتقرب وتقدم الطعام والشراب.. وعادت الى بيتها، وفى طريق العودة وجدت ابنها كنعان مربد الوجه، فأسرعت نحوه تسأله: ما بالك يابنى، فأجابها: أرأيت ما حدث من أبى نوح؟ وسألته عما حدث فقال: إنه فى السوق؟ قالت: وماذا يصنع؟ أكان يريد شراء الأخشاب التى يصنع بها قطع الأثاث؟ قال لها: لقد سمعته يقول للناس: ياقوم إنى لكم نذير مبين، أن أعبدوا الله واتقوا وأطيعون، وحدقت امرأة نوح فى وجه ابنها كنعان قائلة: إذن فأبوك لا يريد لنا أن نعبد الآلهة التى ترزقنا وترعانا؟ وأجابها كنعان: إنه يمقتها ويحتقرها، ولم يقم يوماً من الأيام بتقديم القرابين كما نفعل.

وعاد نوح الى داره، وسألته امرأته، ما الذى أخرك الى هذا الوقت؟

فأجابها: كنت أبلغ الناس الرسالة التى حملنى الله إياها.

وسألته: أية رسالة تلك يانوح؟

فأجابها: أن يعبد الناس ربهم، وأن يتركوا عبادة الأصنام.

عرض عليها وابنها نوح عبادة الله وحده ونبذ الأصنام..

فبادرته وابنها: بأنه لا بد وأن يكف عما يقول..

وقام الأبناء من النوم واستمعوا للحوار الذى يدور بين الأم والأب وفى نهايته هبت امرأة نوح حينما شرح الله قلوب أبنائها للخير وقد وقف إلى جوارها كنعان قائلة:

لقد أفسدت عقول أبنائك بتلك الدعوة، سوف تلعنكم الآلهة، وسوف تنزل بكم نقمتها، فأجابها نوح وقد بدت الدهشة على وجوه الأبناء: سوف ترين أن تلك الأصنام لا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً فكيف تملك لغيرها شيئاً؟!

لم تدخر امرأة نوح جهداً فى التصدى لدعوة الخير والتوحيد، بل جاءتها جارتها وأصروا واستكبروا استكباراً.

وأمر الله نوحاً أن يبنى سفينة، وبنى نوح هذه السفينة وسألته زوجته عما يحدث فأخبرها أن طوفان سيحدث يدمر الأرض ويهلك الناس إلا من يركب معى هذه السفينة.

لم تصدق ما يقوله نوح، بل خرجت الى القوم تحكى لهم قوله، فاستهزءوا بنوح وسخروا منه..

لذا قال لهم نوح - عليه السلام - «إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون، فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحمل عليه عذاب مقيم»[1]

ومضت الأيام واكتملت السفينة وأخذ نوح يجمع من كل زوجين اثنين كما أمره ربه وسألته زوجته: ماذا تصنع بهذه الحيوانات والطيور أتتركون بيوتنا لتعيشوا مع

---

(١) هود: ٣٨، ٣٩.

هذه الحيوانات والطيور؟ فأجابها نوح بما سيحدث من طوفان، وهذه الحيوانات لنبدأ بها حياة من جديد.

ولأول مرة يدخل قلب المرأة خوف مما سمعت، ولكنها لم تبال بهذا الخوف، ومضت إلى قومها تخبرهم بما فعل زوجها، وازدادت السخرية من نوح وما صنعه.

وذات يوم استيقظ قوم نوح على الطوفان، أبواب السماء فتحت بماء منهمر، وعيون الأرض تفجرت، والتقى الماء على أمر قد تقرر، وركب نوح ومعه المؤمنون فى السفينة، ولم يكن من بينهم امرأته وابنه كنعان الذى قال له حين أمره بأن يمضى معه «سآوي الى جبل يعصمنى من الماء»[1]

وغرق ابن نوح وزوجته، وظلت قصتهما فى القرآن الكريم آية أمام المؤمنين على أن الهداية قد تكون أبعد ما تكون حتى على أقرب الناس من الذى يدعو اليها..

قال الله فى شأنها:

«وضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين»[2]

* * *

امرأة لوط

مضى لوط ـ عليه السلام ـ الى قرية سدوم ليبلغهم رسالة الله التى كلفه بابلاغها لهم، ورأت امرأته وكانت تسمى «واعلة» زوجها، لوطاً وهو يكفهم عن الباطل الذى كانوا عليه.

«أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين، إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون»[3]

---

(١) ٤٣ : هـود.　　(٢) ٢٠ : التحريم

(٣) ٨٠ ، ٨١ : الأعراف.

سمع قوم لوط من بنيهم ما سمعوا ولم ينصتوا لنداء الحق تبارك وتعالى.. دلتهم امرأة عجوز على ثغرة التى يتصدون بها لدعوة لوط ألا وهى امرأة لوط نفسه.

أى أن امرأة لوط حينما تشاركهم فيما تصفونه بلوط يختلف الأمر.. ودخلت العجوز إلى بيت امرأة لوط، وسألتها عن أبنائها وزوجها وطعامها وشرابها فأخبرتها.

فدعتها العجوز إلى التمرد على الزوج، وكيف أنها تدفن جمالها مع هذا الفقير المعدم.

وعاد لوط عليه السلام الى أهل القرى التى حول سدوم يدعوهم إلى ما أمره الله به.. ولكنهم عاندوا وأفسدوا.

ومضت الأيام وامرأة لوط كلما رأت رجالاً جاءوا إلى لوط أسرعت باعلام القوم بذلك الأمر..

دعا لوط على قومه «رب انصرنى على القوم المفسدين»[1] واستجاب الله له.. وبعث جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام لاهلاكهم، جاءوا الى قرية سدوم فى صورة رجال حسان..

لقد فكر لوط فيما سوف يحدث من قومه حين يعلمون بوصول أضياف رجال حسان الوجوه اليه، كيف يحميهم من منكر قوم، لم يكن يعلم بقدوم هؤلاء الرجال حسان الوجوه غير لوط وزوجته وابنتاه، ووجدتها الزوجة فرصة لمزيد من المال، فأرسلت الى قومها تخبرهم بقدوم هؤلاء الرجال، ولكن الابنتين كانتا مشغولتان معها باعداد الطعام للضيوف كما أمر لوطا..

وعرف القوم بأمر الرجال حسان الوجوه.. فتسابقوا يهرعون الى بيت لوط، كل منهم يريد أن ينال متعته، ووصل القوم الى باب دار لوط، واذا بالباب موصد، وأخذوا يقرعون الباب فى عنف صائحين: افتح يالوط.. واتجهت الزوجة الى لوط وقد ترك ضيوفه واتجه نحو الباب الموصد الذى يفصل بينه وبين قومه وزوجته ترقبه وفى قلبها

---

(١) هـــود : ٧٧.

سعادة غامرة، انها ستحصل على كثير من قطع الذهب.

ووقف لوط يناديهم من خلف الباب ويقول: «**هؤلاء بناتى هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزونى فى ضيفى أليس منكم رجل رشيد**»[1] أى بنات القرية الأطهار بالزواج الحلال ولا يعنى ببناته هو شخصياً.. أى يدعوهم الى الزواج والعفة بدلاً من اللواط. فردوا عليه: «قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد»

وتحدث المفاجأة حينما يقول الضيوف: «**إنا رسل ربك لن يصلوا إليك**»[2]

إذ قال رسل لوط له: «افتح الباب ودعنا وإياهم، وفتح لوط الباب وذعرت زوجة لوط حين رأت قومها يندفعون بجنون نحو أضياف لوط.

وهنا تبدى جبريل عليه السلام فى صورته الملائكية، ونشر جناحيه وضرب بها القوم، فطمس أعينهم وأعمالهم، فأخذوا لا يدرون الى أين يمضون، وسأل لوط الملائكة: هل يهلك القوم من ساعتهم، ولكنهم أخبروه أن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب.

وأمر الملائكة لوط بأن يسرى بأهله بقطع من الليل، ومضى أهله إلاّ إمرأته فانها ليست من الذين آمنوا، لقد أعانت المفسدين على فسادهم وسجل الله ما حدث لقوم لوط «**فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود، مسومة عند ربك وماهى من الظالمين ببعيد**»[3]

وأخبر عن امرأة نوح «**وضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين**»[4]

(١) هود: ٧٨.
(٢) هود: ٨١.
(٣) هود: ٨٢، ٨٣.
(٤) التحريم: ١٠.

الفصل الثامن

قصص النساء

من السنة النبوية

لا شفاعة فى حد من حدود الله

«فاطمة المخزومية»

عن عائشة رضى الله عنها أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التى سرقت فقالوا: ومن يجترىء عليه إلا اسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه اسامة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتشفع فى حد من حدود الله؟ ثم قام فاختطب: ثم قال: انما اهلك الذين قبلكم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»(١)

فهذه القصة تتعلق بامرأة شريفة من بنى مخزوم تدعى فاطمة بنت الاسود بن عبد الاسود بن عبد الله بن عمرو المخزومى، وكانت قد سرقت حليا فى زمان فتح مكة، وبما أن قومها بعد ان انكشف أمرها، كانوا قريبى عهد بالجاهلية وكانت الوساطة والشفاعة معروفة عندهم، فقد ظنوا انهم كذلك فى عهد النبوة، يمكنهم استخدام هذه الوساطات لدفع الجزاء الالهى عن فاطمة المخزومية.

وتفحصوا الامر فلم يجدوا افضل من حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكون شفيعا لها عنده فجاء اسامة وكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان يدرى عواقب هذا التكليم وتلك الشفاعة التى ظنها أمر يسير، فقد رأى غضباً شديداً من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولم يكتف بنهره وزجره بل دعى إلى اجتماع طارىء يقف فيه خطابا يندد بالفعلة التى هى افتكاك لحرمات الله عز وجل.

وياله من أمر عجيب، جمع له الناس، فسمعوا هذه الخطبة بما فيها من نصح

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الانبياء (٢١٣/٤) والشهادات (٢٢٣/٣) وغيره، وانظر فتح البارى (٩١/١٢).

واشفاق على انه صلى الله عليه وسلم كان لايواجه احدا بمكروه، فلا فضيحة فى هذه النصيحة، فدرء المفاسد مقدم على جلب المصالح وهذه قضية خطيرة والناس أمام شرع الله سواء.

«اعدلوا هو أقرب للتقوى، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون»[1]

ثم إن الخطبة شديدة اللهجة هزت المشاعر، وقتلت المحاباة من النفوس، واصلحت خللا حدثت الأمة نفسها به، وما أجملها من عبارة خالدة «وأيم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» وحاشاها الله.

وهنا سكت الجميع، وسلموا أمام شرع الله العادل، ورسوله القائد الذى لايحابى ولايخادع بل أقام شريعة رب الغراء على العدل فى الانصار والاعداء والمتبعين له والمعارضين على السواء.

ونادى رسول الله صلى الله عليه وسلم «قم يا بلال فخذ بيدها فاطعها»[2] فقالوا سمعنا واطعنا، واتضح لهم بهذا الدرس العملى ان الاسلام ينكر المحاباة ويشدد فى ذلك، وسيبقى ذلك عبرة لمن اعتبر، وحصنا لمن خاف والدار الآخرة «إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد»[3]

* * *

العدل بين الأولاد
«عمرة بنت رواحة»

عن حصين عن عامر قال: «سمعت عن النعمان بن بشير رضى الله عنه وهو على المنبر يقول: اعطانى أبى عطية، فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تشهد رسول

(١) ٨: المائدة
(٢) من رواية النسائى كما ذكر الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (١٢/١٩٨)
(٣) ٧: ق

الله صلى الله عليه وسلم فقالت: انى اعطيت ابنى من عمرة بنت رواحة عطية، فأمرتنى ان اشهدك يارسول الله .. قال: اعطيت سائر ولدك مثل هذا؟ قال: لا، قال: واتقوا الله واعدلوا بين اولادكم، قال فرجع فرد عطيته»(١)

شخصيات القصة هاهنا ثلاثة:

فالأب: بشير بن سعد ذلك الصحابى الجليل الذى شهد بدرا وغيرها، وكان أول من بايع أبا بكر رضى الله عنه من الانصار.

والابن: هو النعمان بن بشير ذلك الصحابى الجليل أول مولود ولد فى الانصار بعد قدوم النبى صلى الله عليه وسلم وهو معروف بروايته للحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما الأم فهى اخت عبد الله بن رواحة أحد شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم.

لقد كانت المفاجأة حينما سأله سيد العادلين صلى الله عليه وسلم «أأعطيت سائر ولدك مثل هذا؟»

«أكل ولدك فحلت مثله»؟

سبحان الله سؤال غير متوقع، وهل كانت عمرة بنت رواحة تتوقع ذلك؟ لقد اجاب الصحافى: لا يارسول الله .. فيقول له صلى الله عليه وسلم «أشهد على هذا غيرى.. ولا تشهدنى على جوز.. ولا اشهد على جور»..

ويأمر بتقوى الله تعالى والعدل بين الاولاد، فيرجع بشير فيرد هذه العطية، واذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ان هذا يتنافى مع العدل فهل ترضى به عمرة بنت رواحة؟

لا انها لاترضى بالظلم، ذلك انها لمن بايع النبى صلى الله عليه وسلم من النساء

---

(١) أخرجه البخارى (٣/٣٦) و(٣/٢٢٤)

وقد مدحها قيس بن الخطية بقوله:

وعمرة من سروات النساء تنفح بالمسك أردانها[١]

وهكذا كانت هذه القصة درسا عمليا للتسوية بين الاولاد نزولا على حكم الله ورسوله، وتثبيتا للود بين الابناء، وطردا للشحناء والبغضاء، وقد خطب النعمان بن البشير رضى الله عنهما بهذه القصة على منبر الكوفة ورواها عنه عدد كثير من التابعين.

* * *

الربا فى شراء الجارية

عن أم يونس قالت: جاءت أم ولد زيد بن أرقم الى عائشة فقالت: لقب جارية من زيد بثمانماذة درهم الى العطاء، ثم اشتريتها منه قبل حلول الأجل بستمائة درهم، وكنت شرطت عليك انك ان بعتها فأنا اشتريها منك فقالت عائشة: بئس ما شربت وبئس ما اشتريت، ابلغى زيد بن أرقم: انه قد أبطل جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لم يتب منه، قالت: فما نصنع؟ فتلت عائشة «فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله»[٢] فلم ينكر أحد على عائشة والصحابة متواخرون[٣]

* * *

اليتيمة

عن عائشة رضى الله عنها، ان رجلا كانت له يتيمة فنكحها، وكان له غدق نخل، وكانت شريكته فيه وفى ماله، فكان يمسكها عليه ولم يكن لها من نفسه شىء، فنزلت

---

(١) السابق نفسه وسراه كل شىء أعلاه والجمع سروات، ونفح بالمسك كذا فاح، والأردان جوانبها.

(٢) ١٢٧: البقرة

(٣) أخرجه رزين، والدارقطنى (٣١١/٢) والبيهقى

«وان خفتم ان لا تقسطوا فى اليتامى»[1]

وفى رواية «هى اليتيمة تكون فى حر وليها فيرغب فى جمالها ومالها، ويريد ان ينتقص صداقها فنهوا عن نكاحهن الا ان يقسطوا لهن فى اكمال الصداق، وامروا بنكاح من سواهن».

وفى أخرى قالت عائشة رضى الله عنها: والذى ذكره الله تعالى انه يتلى عليكم فى الكتاب الآية الاولى التى قال فيها «وان خفتم ان لا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء»

قالت: وقول الله عز وجل فى الآية الأخرى «وترغبون ان تنكحوهن» رغبة احدكم عن يتيمة التى تكون فى حجره حين تكون قليلة المال والجمال.

وفى رواية فى قوله تعالى «ويستفتونك فى النساء» إلى آخر الآية، قالت عائشة: هى اليتيمة تكون فى حجر الرجل قد شركته فى ماله، فيرغب عن ان يتزوجها ويكره ان يتزوجها غيره، فيدخل عليه فى ماله فيحبسها فنهاهم الله عن ذلك»

زاد ابو داود: وقال ربيعة فى قوله «وان خفتم ان لاتقسطوا فى اليتامى» قال: يقول: اتركوهن إن خفتم فقد أحللت لكم أربعاً».

* * *

كفارة من أصاب النساء دون المس

عن ابن مسعود قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله: انى عالجت امرأة فى اقصى المدينة، وانى اصبت منها ما دون ان امسها، وانا هذا، فاقضى فى ما شئت فقال عمر: لقد سترك الله لو سترت على نفسك، ولم يرد النبى صلى الله عليه وسلم فقام الرجال فانطلق، فاتبعه النبى صلى الله عليه وسلم رجلاً فتلا عليه هذه الآية:

---

(١) ٣: النســـاء.

﴿وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفاً من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾[1] فقال رجل: يارسول الله هذا له خاصة؟ قال: «بل للناس كافة»[2]

قال فى حسن الاسوة «وفى الحديث دلالة على قاعدة أصولية اتفق عليه فحول على الاصول: ان العبرة فى آى الكتاب واخبار السنة بعموم اللفظ لابخصوص السبب، وهذه القاعدة المستقيمة تدخل تحتها مسائل كثيرة لايفيها الحصر»

* * *

نكــــاح الزانيــــة

عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان رجل يقال له: مرثد بن ابى مرثد، وكان يحمل الاسرى من مكة حتى يأتى بهم المدينة، فكانت امرأة بغى بمكة يقال لها: «عناق» وكانت صديقة له، وكان وعد رجلا من اسرى مكة يحمله. قال: فجئت حتى انتهيت الى ظل جدار من جدران مكة فى ليلة مقمرة، فجاءت عناق فأبصرت سواد ظلى تحت الحائط، فلما انتهت أنى عرفتنى، فقالت: مرثد؟ قلت: مرثد، فقالت: مرحباً وأهلاً، هلم فبت عندنا الليلة، فقلت: ياعناق: قد حرم الله تعالى الزنا، قالت: يا أهل الخيام: هذا الرجل الذى يحمل أسراكم، قال: فتبعينثمانية، فانتهيت الى غار فجاءوا حتى قاموا على رأسى واعماهم الله تعالى عنى، قال: ثم رجعوا ورجعت إلى صاحبى لحملته حتى قدمت المدينة، فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت: يارسول الله أنكح عناقا؟ فأمسك ولم يرد على شيئا، حتى نزل ﴿الزانى لاينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لاينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين﴾[3] فقال يا مرثد: لاتنكحها»[4]

* * *

---

(١) ١١٤: هــود
(٢) اخرجه الخمسة إلا النسائى
(٣) ٣: النــــور
(٤) أخرجه اصحاب السنن

بركة الطعام من النبى
صلى الله عليه وسلم
وابتداء حكم الحجاب

عن أنس قال: كان رسول اله صلى الله عليه وسلم معرساً بزينب، فقالت لى ان سليم: لو أهدينا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هدية، فقلت لها: افعلى، فعمدت الى تمر وسمن واقط، فاتخذت حيشة فى برمة فارسلت بها معى، فانطلقت بها اليه، فقال: ضعها، ثم امرنى فقال: ادع لى رجالا سماهم، وادع لى من لقيت، قال: ففعلت ثم رجعت فاذا البيت غاص بأهله، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فى تلك الحيشة وتكلم بما شاء الله ثم جعل يدعو عشرة عشرة، يأكلون منه، ويقول لهم: اذكروا اسم الله تعالى، وليأكل كل رجل مما يليه، حتى تصدعوا كلهم، فخرج من خرج، وبقى نفر يتحدثون، ثم خرج النبى صلى الله عليه وسلم نحو الحجرات، وخرجت فى أثره، فقلت: انهم قد ذهبوا، فرجع فدخل البيت وارخى الستر، وإنى لفى الحجرة وهو يقول: «يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى» إلى قوله تعالى «والله لايستحي من الحق»[1]

* * *

من حدها رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن بريدة رضى الله عنه قال «أتى ماعز بن مالك الاسلمى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله، ظلمت نفسى وزينت فطهرنى.. الحديث وفيه، فلما كان الرابعة حفر له حفرة، ثم امر به فرجم، قال: فجاءت الغامدية فقالت: يارسول الله انى قد زينت فطهرنى، فردها، فلما كان من الغد، قالت: يارسول الله، لم تردنى، لعلك إن تردنى كما رددت ماعزا، فوالله انى لحبلى، قال: اما لا، فاذهبى حتى تلدى، فلما ولدت أتته

---

(١) ٥٣: الأحـــزاب.

بالصبى فى خرقة، قالت: هذا قد ولدته، قال: فاذهبى فأرضعيه حتى تفطميه، فلما فطمته، أتته بالصبى وفى يده كسرة خبز، فقالت: هذا يانبى الله قد فطمته، وقد أكل الطعام، فدفع الصبى الى رجل من المسلمين، ثم امر بها فحفر لها الى صدرها، وامر الناس ان يرجموها، فاقبل خالد بن الوليد بجمر فرمى رأسها، ففضح الدم على وجهه، فسبها، فسمع النبى صلى الله عليه وسلم سبه اياها، فقال: مهلا يا خالد، فوالذى نفسى بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له، ثم امر بها فصلى عليها ودفنت»[1]

اعلم أيها المسلم:

إن حد الزانى إن كان بكرا حراً جلد مائة جلدة بنص الكتاب وبعد الجلد يغرب عاما بالسنة المطهرة، وان كان ثيباً جلد كما تجلد البكر، لحديث ماعز والغامدية، ثم يرجم حتى يموت، لآية الرجم المنسوخ تلاوتها، ولحديث انيس، ويكفى اقراره مرة، وما ورد من التكرار فى وقائع الأعيان فلقصد الاستثبات، فمن أوجب التكرار كان الدليل عليه ولا دليل هنا، وأما الشهادة فلابد من أربعة، ولا أعلم خلافاً، وقد دل عليه الكتاب والسنة، ولابد ان يتضمن الاقرار والشهادة التصريح بايلاج الفرج بالفرج، ويسقط بالشبهات المحتملة، وبالرجوع عن الاقرار، ويكون المرأة عذراء أو رتقاء ويكون الرجل مجبوبا أو عفيفا، والله اعلم[2]

* * *

الخلع

عن ابن عباس «ان جميلة بنت عبد الله بن سلول، امرأة ثابت بن قيس بن شماس، أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له: ما أعقب على ثابت فى خلق ولا دين، ولكنى أكره الكفر فى الاسلام، تعنى: أنها تبغضه. فقال رسول الله صلى الله عليه

(١) أخرجه مسلم وابو داود

(٢) حسن الاسوة (٣١٠)

وسلم: أتردين عليه حديقته؟ قالت: نعم، فقال له صلى الله عليه وسلم: اقبل الحديقة وطلقها تطليقة[١].

ولفظ ابن ماجه «فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ منها حديقته ولايزداد».

وفي الباب أحاديث كثيرة، والأمر فيها على ظاهره، وقيل: للارشاد، والاول أولى.. والحديقة: البستان من النخل إذا كان عليه حائط.

وعن نافع من مولاة لصفية: إنها اختلعت من زوجها بكل شيء لها، فلم ينكر ذلك ابن عمر»[٢]

قال في حسن الاسوة «قلت: مفاد الاولة الواردة في هذا الباب ان الرجل اذا خلع امرأته كان أمرها اليها بعد الخلع، لايرجع إليه بمجرد الرجعة، ويجوز بالقليل والكثير، ما لم يجاوز ما صار اليها منه، لحديث الباب، لان النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يأخذ الحديقة ولايزداد، وجوز الجمهور للزيادة، ويجاب بأن الروايات المتضمنة لكنهي عن الزيادة مخصصة لذلك، ولابد من التراخي بين الزوجين على الخلع أو الزام الحاكم مع الشقان بينهما، واعتبار الزام الحاكم لمرافقة ثابت مع امرأته إلى النبي والزامه صلى الله عليه وسلم بأن يقبل الحديقة ويطلق ولقوله تعالى «فان خفتم شقاق بينهما» الآية: وهذه كما تدل على بعث حكمين، كذلك تدل على اعتبار الشقاق في الخلع، وقولها: اكره الكفر بعد الاسلام وقولها: لا اطيقه بغضا فلهذا اعتبر الشقاق فيه.

والخلع: فسخ، وعدته حيضة، لحديث الربيع بنت معوذ في قصة امرأة ثابت، أمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تعتد بحيضة واحدة وتلحق بأهلها.. أخرجه النسائي ورجال اسناده كلهم ثقات، وفي الباب روايات وهي كما تدل على أن العدة في

---

(١) أخرجه البخاري والنسائي وابن ماجه وابن مردوية والبيهقي

(٢) أخرجه مالك

الخلع حيضة كذلك تدل على أنه فسخ، ورجحه ابن القيم[1]

* * *

هلاك المرأة وتعزية زوجها

عن القاسم بن محمد قال: هلكت امرأة لى فأتانى محمد بن كعب القرظى يعزينى بها فقال: إنه كان فى بنى اسرائيل رجل فقيه عالم عابد مجتهد، وكانت له امرأة، وكان بها معجباً، فماتت فوجد عليها وجداً شديداً، حتى خلا فى بيت واغلق على نفسه واحتجب، فلم يكن يدخل عليه احد، فسمحت به امرأة من بنى اسرائيل، فجاءته فقالت: ان لى اليه حاجة استفتيه فيها، ليس يجزينى إلا ان أشافهه بها، ولزمت بابه، فاخبر بها، فاذن لها، فقالت: استفتيك فى أمر، قال: وماهو؟ قالت: إنى استعرت من جارة لى حليها، فكنت ألبسه زمانا، ثم أنها أرسلت تطلبه، أفرده اليها، قال: نعم، قالت: والله انه قد مكث عندى زمانا، فقال: ذاك احق لردك اياه، فقالت له: يرحمك الله، أفتأسف على ما أعارك الله ثم اخذه منك وهو احق به منك، فابصر ما كان فيه ونفعه الله بقولها[2]

* * *

الصدقة على الزانية

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال رجل من بنى اسرائيل: لأتصدقن الليلة بصدقة: فخرج بصدقته إلى أن قال: فوضعها فى يد زانية، فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على زانية، فقال: اللهم لك الحمد على زانية، فقيل: أما صدقتك فقد قبلت، وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها... الحديث»[3]

* * *

---

(١) (٣٢٦)

(٢) أخرجه مالك

(٣) أخرجه الشيخان والنسائى بطوله

حق الرجل على الزوجة من الوقاع وغيره

عن أبى سعيد قال: «جاءت امرأة صفوان بن المعطل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفوان عنده فقالت: يارسول الله، زوجى يضربنى اذا صليت، ويفطرنى اذا صمت ولا يصلى الفجر حتى تطلع الشمس، فسأله عما قالت، فقال: يارسول الله أما قولها: يضربنى إذا صليت، فانها تقرأ بسورتين وقد نهيتها، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو كانت سورة واحدة كلفت الناس، واما قولها: يفطرنى إذا صمت، فإنها تنطلق تصوم، وأنا رجل شاب لا أصبر، فقال رسول الله: لاتصوم امرأة الا باذن زوجها، واما قولها: لايصلى حتى تطلع الشمس، فأنا أهل بيت مد عرف لنا ذلك لاتكاد تستيقظ حتى تطلع الشمس، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: إذا استيقظت ياصفوان فصل»(١)

* * *

الصداق

عن سهل بن سعد قال: «جاءت امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يارسول الله «جئت أهب نفسى لك، فنظر اليها فصعد النظر فيها وصوبه وطأطأ رأسه، فلما رأت أنه لم يقضى فيها شيئا جلست، فقام رجل فقال: يارسول الله، ان لم يكن لك بها حاجة فزوجينها، فقال: فهل عندك من شىء؟ فقال: لا والله يارسول الله، فقال: اذهب إلى أهلك فانظر تجد شيئا؟ فذهب ثم رجع، فقال: لا والله يارسول الله ما وجدت شيئا، فقال: انظر ولو خاتما من حديد، فذهب، ثم رجع، فقال: لا والله يارسول الله، ولا خاتما من حديد، ولكن هذا إزارى - قال سهيل: ما له رداء - فلها نصفه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما تصنع بازارك؟ ان لبسته لم يكن عليها منه شىء، وإن لبسته لم يكن عليك منه شىء، فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه قام فرآه رسول الله

---

(١) رواه أبو داود

صلى الله عليه وسلم فوليا، فأمر به فدعى، فقال: ماذا معك من القرآن؟ قال: معى سورة كذا وكذا ـ عددها ـ فقال: تقرأهم عن ظهر قلبك؟ قال: نعم، قال: اذهب فقد ملكتها ـ وفى رواية ـ انكحتكها ـ بما معك من القرآن»[١]

* * *

سبب نزول آية التيمم

عن عائشة قالت: «خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء ـ او بذات الجيش ـ انقطع عقد لى، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فأتى الناس إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه فقالوا: ألا ترى الى ما صنعت عائشة؟ أقامت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس معه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فجاء ابو بكر وعاتبنى، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذى، قد نام، فقال: حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، قالت: فعاتبنى. وقال لى ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعننى بيده فى خاصرتى، فما يمنعنى من التحرك إلا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذى، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبح على غير ماء، فأنزل الله تعالى «فتيمموا ... الآية» قال أسيد بن حضير: وهو أحد النقباء: ماهى بأول بركتكم يا آل أبى بكر، قالت: فبعثنا بالبعير الذى كنت عليه فوجدنا العقد تحته»[٢]

* * *

---

(١) أخرجه الستة

(٢) أخرجه الستة إلا الترمذى

أهم المراجع

١ ـ البداية والنهاية ـ لابن كثير ـ ط دار الفكر العربى ـ القاهرة.

٢ ـ الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

٣ ـ الكامل فى التاريخ ـ لابن الأثير ـ ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

٤ ـ الاصابة فى تمييز الصحابة ـ ط دار العلوم الحديثة ـ بيروت ـ لبنان.

٥ ـ تاريخ الطبرى ـ للطبرى ـ ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

٦ ـ تفسير إبن كثير ـ لابن كثير ـ ط دار التراث العربى ـ القاهرة.

٧ ـ التفسير الكبير ـ للفخر الرازى ـ ط دار الفكر ـ بيروت.

٨ ـ تفسير القرطبى «الجامع لأحكام القرآن» ط دار الشعب ـ القاهرة.

٩ ـ تهذيب التهذيب ـ لابن حجر ـ ط دار الفكر العربى ـ القهرة.

١٠ ـ جامع الأصول من أحاديث الرسول ـ لابن الأثير ـ ط دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان.

١١ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ للهيثمى ـ ط دار الكتاب العربى ـ بيروت.

١٢ ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف ـ ونستك ـ ليدن.

١٣ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ محمد فؤاد عبدالباقى ـ ط دار الحديث ـ القاهرة.

الفهرست

الصفحة

عربية للطباعة والنشر

٧ ، ١٠ شارع السلام ـ أرض اللواء المهندسين

تليفون : ٣٠٣١٠٤٣ ـ ٣٠٣٦٠٩٨



ـ قال الحجاج بن يوسف الثقفى لأيوب بن القرية البليغ : ما تقول فى الترويج ؟ فقال : وجدت أسعد الناس فى الدنيا ، من رزقه الله زوجة مسلمة عفيفة حسنة لطيفة نظيفة ، مطيعة ، إن ائتمنها زوجها وجدها أمينة ، وإن قتر عليها وجدها قانعة ، وإن غاب عنها كانت له حافظة ، وقد ستر حلمها جهلها ، وزين دينها عقلها ، فزوجها ناعم وجارها سالم ، وأنجح من رزقه الله مثل هذه ، وإنما مثل المرأة السوء ، كالحمل الثقيل على الشيخ الضعيف يجره فى الأرض جراً ، فبعلها مشغول ، وجارها مثبول ، وصبيها مرذول ، وقسطها مهزول » .

ابراهيم محمد الجمل